

ملحق يصدر مع دورية "اتجاهات الأحداث"

Counter-de-Rad

المداخل الفكرية والاجتماعية لمكافحة التطرف

Radicalization
ماهية التطرف.. أنماطه.. أسبابه
سارة يحيى

حرب الأفكار
اقترابان أساسيان لتأهيل المتطرفين وتحصين المجتمعات
د. شادي عبدالوهاب

Online Deradicalization
استراتيجيات مواجهة الفكر المتطرف في الفضاء الإلكتروني
هالة الحفناوي

Terrorist Recidivism
تقييم المداخل الفكرية والاجتماعية لمواجهة التطرف
محمد عبدالله يونس

تحرير:
د. شادي عبدالوهاب

"ملحق دوري يصدر مع "اتجاهات الأحداث"، ويهتم بتحليل المفاهيم والمقولات النظرية الحديثة أو المتقدمة، التي يمكن أن تساهم في تطوير النقاش العام حول القضايا المطروحة، ودعم عملية صنع القرار بشأنها في مجالات مختلفة."



www.futurecenter.ae | مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة
العدد 14، سبتمبر – أكتوبر 2015

STOP EXTREMISM

Counter-de-Rad

المقدمة

المداخل الفكرية والاجتماعية لمكافحة التطرف

ثمة ما يشبه الإجماع بين المتخصصين في دراسة الجماعات الإرهابية والراديكالية على أن الأدوات العسكرية ليست هي الحل الوحيد لمواجهة الإرهاب والتطرف، ولكن لابد من اتخاذ حزمة كاملة من التدابير غير العسكرية والأمنية، تشتمل على الجوانب الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

ويؤكد على هذه الحقيقة استمرار العديد من الجماعات الإرهابية بعد هجمات 11 سبتمبر 2001، وخوض الولايات المتحدة الأمريكية حرباً ضدها، بمشاركة تحالف واسع من مختلف دول العالم، فلم تنتهِ القاعدة وأخواتها من جانب، وساعدت تداعيات مرحلة ما بعد الثورات العربية في صعود وانتشار العديد من التنظيمات الإرهابية، وعلى رأسها تنظيم "داعش" من جانب آخر، وتمكنت هذه التنظيمات من نشر أفكارها، وسط بيئات محلية وإقليمية وعالمية سهلت الطريق أمامها كي تخلق لها بيئات حاضنة، وتسيطر على أجزاء واسعة في العراق وسوريا، وتستقدم العديد من "الجهاديين" من خارج المنطقة العربية.

وفي ضوء هذا الانتشار الإرهابي وتهديده للمنطقة وللعالم، بدأت العديد من الدول استحداث برامج وقائية للتحصين الفكري والمجتمعي، كما بدأت الاقترابات الفكرية والثقافية والشرعية تأخذ حيزاً مهماً في جهود مكافحة الإرهاب من أجل تجنب تجنيد أعضاء جدد في التنظيمات الإرهابية، والسعي لتطبيق استراتيجيات مرنة للتعامل مع المتطرفين.

في هذا السياق، يلفت النظر تركيز العديد من الدول على اقترابين أساسيين، وهما مكافحة التطرف وعلاج المتطرفين، وذلك كجزء من جهود مكافحة التنظيمات الإرهابية التي بدأت تكتسب أو تقيم حاضنة اجتماعية لها في العديد من المناطق، حيث تعتبر هذه الاقترابات بمنزلة إجراءات وقائية تهدف إلى الحد من الدعم والتجنيد اللذين تحصل عليهما هذه التنظيمات.

وفقاً لذلك أضحت هناك ضرورة قصوى لاستخدام منهج أوسع ومتوازن يجمع بين السياسات الناعمة والذكية كدعامة أساسية من أجل مواجهة الإرهاب، إلى جانب التوجه التقليدي المعتمد على القوة العسكرية والحلول الأمنية.

وبوجه عام لا تعد اقترابات مكافحة التطرف وعلاج المتطرفين باعتبارها "أساليب ناعمة" في مواجهة التطرف بالأمر الجديد، ولكن طبقتها العديد من الدول في مواجهة التطرف خلال العقدين الماضيين.

وتتمثل أبرز النماذج الخاصة بعلاج المتطرفين في تجربة المراجعة الفكرية التي قامت بها كل من الجماعة الإسلامية وحركة الجهاد الإسلامي في مصر في عقد التسعينيات من القرن الماضي، وتجربة اليمن مع تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية في الفترة بين عامي 2002 و2005، فضلاً عن تجربة "المناصحة" السعودية مع تنظيم القاعدة في الفترة بين عامي 2003 و2007، وتجربة إندونيسيا مع الجماعة الإسلامية في عام 2004، علاوة على تجربة الجزائر وموريتانيا وغيرها.

وفيما يتعلق ببرامج مكافحة التطرف، فتتمثل أبرز الأمثلة على ذلك في تجربة "الشرطة المجتمعية" الأسترالية التي بدأت منذ عام 2007، والتجربة البريطانية، خاصة بعد اعتماد المملكة المتحدة للاستراتيجية البريطانية لمكافحة الإرهاب في عام 2003، وتعديلاتها اللاحقة، والتي هدفت لتبني استراتيجيات مجتمعية لمكافحة التطرف.

ولدى تتبع هذا النوع من الاقترابات الذكية أو الناعمة في مكافحة التطرف، يمكن الإشارة إلى ثلاثة اقترابات رئيسية استدمتها العديد من الدول، وهي كالتالي:

أولاً: اقتراب علاج المتطرفين (Deradicalization):
ويقصد به العمليات التي تستهدف بصورة أساسية، إما مكافحة الأفكار المتطرفة أو وقف السلوك العنيف للعناصر الإرهابية التي تم اعتقالها.

وهنا تختلف سياسات مكافحة التطرف بين الدول إلى حد كبير، فبينما ركزت بعض الدول العربية والإسلامية على المكون الأيديولوجي والفكري للعناصر المتطرفة وسعت إلى تغييره؛ فإن تجارب الدول الغربية، خاصة البريطانية والإسكندنافية، تشير إلى

أن هذه الدول لم تعبأ بتغيير الفكر المتطرف للعناصر الإرهابية بقدر ما ركزت اهتمامها على نبذ العناصر المتطرفة للسلوك العنيف من خلال تقديم الحوافز الاقتصادية لهم، وإعادة دمجهم في المجتمع، وبيان العواقب التي ستترتب على ارتكابهم لأفعال إرهابية.

ثانياً: اقتراب مكافحة التطرف (Counter-radicalization): ويستهدف بالدرجة الأولى منع ظهور البيئة المواتية لنشأة التطرف أو تكوين بيئة حاضنة للجماعات الإرهابية، ويتمثل النموذج الأساسي في هذا الإطار في كل من التجربتين الأسترالية والبريطانية.

ثالثاً: اقتراب مكافحة التطرف في الفضاء الإلكتروني (Online deradicalization)، ويهدف إلى مكافحة الأفكار المتطرفة التي يتم نشرها عبر شبكة الإنترنت، خصوصاً شبكات التواصل الاجتماعي، من قبل التنظيمات الإرهابية، وذلك من خلال نشر الأفكار المضادة التي تدحض تلك الأفكار المتطرفة، وذلك باستخدام الفضاء نفسه الذي تستخدمه هذه الجماعات، ومواجهة حججهم الفقهية الخاطئة وادعاءاتهم السياسية، وذلك بهدف إفقادهم المصداقية، فضلاً عن بيان التداعيات السلبية لأعمالهم الإرهابية.

وعلى الرغم من انتشار هذه الاقترابات الناعمة في التعامل مع ظاهرة التطرف، أياً كان مصدره أو هدفه، سواء كان دينياً أم غير ديني، فإن ثمة ملاحظتين جديرتين بالذكر في هذا الصدد، وهما:

الملاحظة **الأولى** تتعلق بضرورة التفرقة والاختلاف الكبير بين التطرف والإرهاب، فالتطرف هو "العملية التي يتم بموجبها تبني فرد أو جماعة معينة لمعتقدات متطرفة من دون أن يعني ذلك بالضرورة قيام الفرد بسلوك عنيف"، وبالتالي فإن عمليات مكافحة التطرف تهدف إلى "تغيير الفهم الخاطئ أو الأيديولوجيا المتطرفة بمبادئ وأفكار أخرى وسطية معتدلة تؤكد على قيم التعايش والتسامح، أي أن الأفراد والجماعات يخضعون لعمليات تغيير أيديولوجي تجعلهم لا يمثلون خطراً على مجتمعاتهم".

لذا فإن استراتيجيات مكافحة التطرف تختلف بصورة كبيرة عن عمليات مكافحة الإرهاب، فالأخيرة تستهدف استخدام كل الأدوات لمحاربة التنظيمات الإرهابية والقضاء عليها بالاعتماد على الأساليب الأمنية والعسكرية كافة، إضافة إلى قطع مصادر التمويل عن الجماعات الإرهابية، وغيرها من الوسائل والأدوات الصلبة...إلخ.

أما الملاحظة **الثانية**، فترتبط بوجود تقييمات مختلفة، وأحياناً متضاربة، حول مدى فاعلية هذه الاقترابات، ففي حين يعتبر البعض أن برامج مكافحة التطرف وعلاج المتطرفين أدوات استراتيجية لمكافحة الإرهاب على المدى الطويل، فإن هناك بعض الأصوات الأخرى التي تشكك في فاعليتها، بل ويذهب البعض إلى أن مثل هذه الجهود أخفقت في تحقيق أهدافها في الكثير من الحالات، مستنداً في ذلك بالربط بين ظهور "داعش" وبين انضمام أعداد كبيرة إليه من دول عربية وغربية وآسيوية، ومنهم عناصر إرهابية أعلنت استتابتها من قبل، ولكنها سرعان ما سارعت للانضمام للتنظيم في سوريا والعراق، أو تنظيمات محلية باسم "داعش".

ويمكن القول إن هذا الجدل حول فاعلية الاقترابات الناعمة لا يمنع من التأكيد على أنها تتمتع بقدر كبير من الأهمية. ويرجع ذلك إلى حقيقة أن عملية مكافحة الإرهاب، بما تتضمنه من استخدام العنف – وما يترتب عليه من أضرار جانبية قد تطال الأبرياء – قد تؤدي إلى زيادة الشعور بالاغتراب لدى المجتمعات التي تشهد هذه العمليات، بل وقد تدفع بعضهم للانضمام إلى الجماعات الإرهابية، بينما تستهدف عمليات علاج المتطرفين ومكافحة التطرف المجتمعات المعرضة للتطرف بصفة عامة، وكذلك العناصر المتطرفة، وذلك لضمان عدم انضمام عناصر جديدة للجماعات الإرهابية، فضلاً عن محاولة إقناع العناصر التي تطرفت بترك التطرف ونبذ العنف، تمهيداً لإعادة دمجهم في المجتمع، وبالتالي تجنب انضمام المزيد من الأفراد للجماعات الإرهابية أو التعاطف مع قضيتهم.

بيد أنه ينبغي التأكيد كذلك على حقيقة أن هذه الاقترابات لا تعتبر بديلاً للوسائل الأمنية والعسكرية في مواجهة التنظيمات الإرهابية، إذ لا يمكن التغاضي عن هذه الاستراتيجيات ضد جماعات تفرض تهديدات فعلية بالأمن القومي للدول، أو تلك التي قامت بالسيطرة على مناطق واسعة؛ ما يعني ضرورة وضع الاقترابات الناعمة في حجمها الطبيعي، فهي تكميلية، وليست بديلة في مواجهة الإرهاب والتطرف.

في هذا الإطار يسلط هذا الملحق الضوء على مفهوم علاج المتطرفين ومكافحة التطرف (Counter-de-Rad)، حيث يقدم أربعة موضوعات، يتناول **أولها** الأسباب المفسرة لانتشار ظاهرة التطرف على المستويات الفردية والجماعية والمجتمعية"، وأعدته الباحثة سارة يحيي.

ويركز الموضوع **الثاني** للدكتور شادي عبدالوهاب على الاقترابات الناعمة لمواجهة التطرف، خاصة اقترابي مكافحة التطرف، وعلاج المتطرفين (Deradicalization).

وتقدم الباحثة هالة الحفناوي في الموضوع **الثالث** اقتراب مكافحة التطرف الإلكتروني باعتباره أحد أهم أبعاد مواجهة التطرف والمتطرفين.

أما الموضوع **الأخير** فيتناول من خلاله الباحث محمد عبدالله يونس تقييم الاقترابات الناعمة في مواجهة التطرف وعلاج المتطرفين، وذلك من خلال وضع معايير لتقييم سياسات مواجهة التطرف، وأوجه الضعف التي تعاني منها هذه البرامج، والوقوف على أسباب الارتداد الفكري للمتطرفين.

المحرر

Radicalization

ماهية التطرف.. أنماطه.. أسبابه

سارة يحيى
باحثة في علم الاجتماع

يُعد التطرف (Radicalization) من أبرز المُصطلحات التي انشغل بها الدارسون والمُنظِّرون – خاصة في الآونة الأخيرة – ودار حولها جدل واسع، سواء في تعريفه أو تفسير ظهوره أو ميكانزمات علاجه. وفي إطار ذلك تُحاول السطور القادمة عرض بعض الأبعاد النظرية التي من شأنها تكوين خلفية نظرية حول موضوع التطرف، والمُتمثِّلة في: التوجهات المختلفة في تعريف التطرف، وأنماطه، وأسباب ظهوره.

أولاً: ماهية التطرف

التطرف لغة هو الوقوف في الطرف، ومن ثم التسيب أو المغالاة، ولكن شاع استخدامه في المغالاة والإفراط فقط. وكذلك يعني الغلو، والوصول إلى حد التعصب والتشدد، أما اصطلاحاً، فإن التطرف هو "مجموعة من المعتقدات والأفكار التي تتجاوز المُتفق عليه سياسياً واجتماعياً ودينياً"(1)، وبالتالي، فإن التطرف وفقاً لهذا التعريف، في هذه الحالة، يرتبط بالأفكار وحدها، ولا ينصرف إلى السلوك.

وهناك اتجاه آخر يربط بين التطرف والعنف، من خلال إطلاق مصطلح "التطرف العنيف" (Violent extremism)(2)، بحيث يطال المفهوم كل صنوف التطرف التي تتبنى العنف ولا تستبعد اللجوء إليه كوسيلة لتحقيق أهدافها، وهو مصطلح جديد نسبياً، في حين أن هناك اتجاهاً ثالثاً، يجعل من السلوك العنيف أحد الأركان الأساسية في تعريف التطرف، ومن ذلك تعريف التطرف على أنه: "العملية التي يتم بموجبها تبني فرد أو جماعة مُعينة معتقدات مُتطرفة أو سلوك عنيف(3)، ومحاولة فرضه على باقي المجتمع من خلال استخدام العنف أو مُعاقبة الآخرين على أعمالهم التي يرون أنها شريرة(4)؛ وهو ما قد تنتج عنه جرائم تقع تحت طائلة القانون(5).

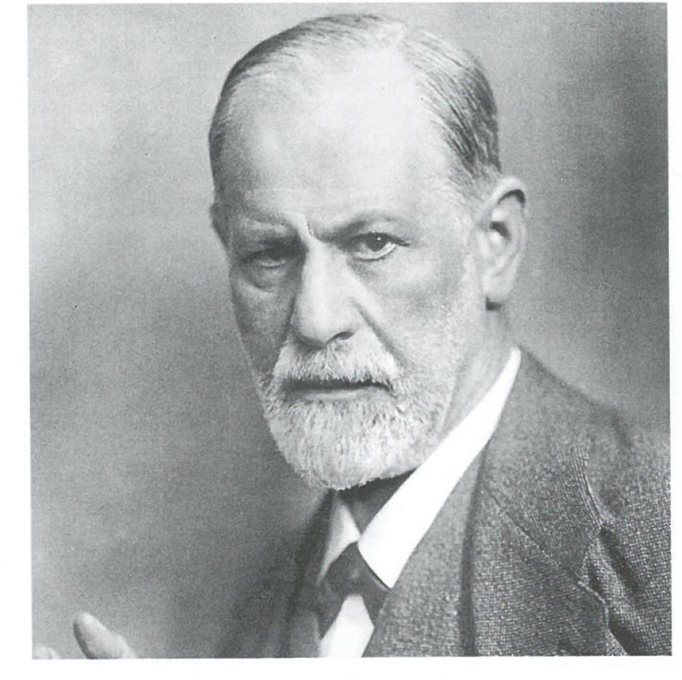
وأخيراً، ثمة اتجاه يربط بين التطرف والإرهاب بشكل صريح، وذلك كما نجده في تعريف مجلس العموم التابع للجنة الشؤون الداخلية بالمملكة المتحدة الذي يذهب إلى أن التطرف هو: "العملية التي يقوم من خلالها الشخص بدعم الإرهاب وكافة أشكال التعصب التي تؤدي إلى الإرهاب، الأمر الذي تظهر ملامحه في المُعارضة لكل من: القيم السائدة في المجتمع، والقانون، والحُرية الفردية، والاحترام المتبادل، والتسامح مع الآخر"(6).

وبوجه عام يُمكن تعريف التطرف على أنه: "عملية الاستقطاب التي يتعرض لها فرد أو جماعة، والتي يتم فيها التخلي عن الحوار والتسامح والتوافق مع من لهم أفكار مُختلفة، بل والانخراط في تكتيكات لمواجهتهم والتي يُمكن أن تتدرج من استخدام الضغط والإكراه غير العنيف، وصولاً إلى اللجوء إلى أشكال مُختلفة من العنف السياسي، وانتهاءً بأعمال التطرف العنيف المُتمثِّلة في الأعمال الإرهابية أو جرائم الحرب"(7).

ثانياً: الفارق بين الإرهاب والتطرف

يُعد التفريق بين الإرهاب والتطرف مسألة جدلية؛ وذلك لوجود بعض التعريفات التي تعتبر التطرف والإرهاب سلوكاً متطابقاً. ولكن هذا الأمر يمثل خطأً شائعاً، حيث إن هناك العديد من أوجه الاختلاف بينهما يتمثل في:

1- التطرف يرتبط بالفكر والإرهاب يرتبط بالفعل: حيث يرتبط التطرف بمُعتقدات وأفكار بدون سلوكيات مادية عنيفة، أما إذا ارتبط التطرف بالعنف المادي، أو التهديد بالعنف فإنه يتحول إلى إرهاب(8).



سيجموند فرويد عالم النفس النمساوي

2- التطرف لا يُعاقب عليه القانون، بينما الإرهاب هو جريمة يُعاقب عليها القانون. فالتطرف هو مجرد فكر ومن ثم يصعب تجريمه، على العكس من السلوك الإرهابي الذي يؤدي إلى أضرار مادية أو معنوية.

3- يختلف التطرف عن الإرهاب أيضاً من خلال طرق مُعالجته فالتطرف الفكري، تكون وسيلة علاجه هي المُناقشة والحوار وتصميم بعض البرامج الوقائية، أما إذا تحول التطرف إلى فعل عنيف ففي هذه الحالة يخرج إلى نطاق الجريمة مما يستلزم معالجات أمنية وعسكرية[9].

ثالثاً: أنماط التطرف

هناك العديد من صور وأشكال التطرف، والتي تصنف وفقاً لمجالها أو مكان حدوثها، وسيتم التركيز على التطرف السياسي والديني، والتطرف داخل السجون باعتبار ذلك أبرز أنماط التطرف والأكثر شيوعاً.

فيما يتعلق بأنماط التطرف، وفقاً لمجالها، نجد ما يُسمى بالتطرف الديني (Religious Radicalism)، وهو أشهر أنماط التطرف، والذي يتمثل في الانضمام للجماعات الدينية والسلفية، والتي ترفض الانخراط في الحياة السياسية أبرز مظاهره. ولا تظهر بالضرورة أي أعمال عنف نتيجة ذلك النوع من التطرف.

أما النوع الثاني فهو التطرف السياسي (Political Radicalism)، ويهدف هذا النمط من التطرف إلى تغيير، بل وإعادة بناء المؤسسات الاجتماعية والسياسية الموجودة داخل المجتمع، فالتطرف السياسي كأيديولوجية يتحدى شرعية المعايير والسياسات الموجودة فعلياً ويُنادي بذلك، ولكن ليس بالضرورة أن ينتهي إلى عنف[10].

هناك أيضاً ما يُسمى بـ "التطرف داخل السجون" (Prison Radicalization) – الذي يُعد أحد أنماط التطرف وفقاً للمكان – إذ إن السجون تُعد بيئة خصبة لظهور التطرف، خاصة الديني، حيث إن المسجونين بجرائم عادية يمكن أن يتحولوا إلى التطرف، في حالة تم سجنهم مع الإرهابيين، وعلى سبيل المثال، فإن العديد من الهجمات، التي قامت القاعدة وطالبان بتنفيذها في أفغانستان، تم التخطيط لها في السجون الأفغانية[11].

رابعاً: دوائر وأسباب التطرف

يحدث التطرف عبر ثلاث دوائر أساسية هي: دائرة الفرد، ودائرة المجموعة، ودائرة الجماهير(المجتمع). ولكل دائرة منها ميكانزماتها التي تتسبب في حدوث التطرف.

1- التطرف داخل دائرة الفرد (Individual): يحدث بسبب تعرض الفرد لواحدة أو أكثر من الميكانزمات التالية:

أ- أسباب نفسية: تتنوع تفسيراتها ما بين الميل الغريزي لدى الفرد للتدمير والعنف (تفسير "فرويد" Sigmund Freud)، ويرى علم النفس الكلاسيكي أن التطرف عبارة عن متنفس لمشاعر عاطفية حادة ناجمة عن التعرض للظلم، والإيذاء الشخصي، وانعدام الأمن، والإذلال، والاستياء، والخسارة، والغضب. ومن ثم يستخدم المتطرفون العنف والتعصب من منطلق القصاص العادل من المجتمع الذي تعرضوا فيه لكل تلك المشاعر وليس لتحقيق أهداف ما[12].

ب- التنشئة الأسرية: فقد ينشأ التطرف بسبب التنشئة الأسرية التي تلقن الأطفال بعض القيم والثقافات المُتعصبة منذ الصغر والداعمة للتطرف[13].

ج- الظلم السياسي: فقد يتولد لدى الأفراد الشعور بالتطرف وربما العنف كاستجابة لبعض الأحداث والاتجاهات السياسية التي تحدث حولهم.

د- الانضمام إلى جماعات عرقية: ففي الغالب ينضم الفرد إلى منظمة تعبر عن جماعة عرقية، ويقتنع بأهدافها الرامية للانفصال، وإقامة دولة مستقلة، ويستخدم في ذلك كافة الأدوات لتحقيق ذلك، حتى لو تمثل ذلك في توظيف الإرهاب.

2- التطرف داخل دائرة الجماعة (Group): وهو ما قد يحدث للأسباب التالية:

أ- التهديد والعزل: وفي هذا النمط يتم عزل الأفراد كافة المُنضمين لمجموعة ما عن أي فرد آخر خارجها مختلف عنهم فكرياً وتهديدهم في حال مُخالفة ذلك. ومن ثم يقع على عاتق الأفراد ضرورة الالتزام بقيم وأهداف المجموعة والعمل على تحقيقها والتعصب من أجلها.

ب- التنافس بين الجماعات: فوجود جماعتين تتنافسان من أجل الحصول على دعم الفئة نفسها من المتعاطفين والداعمين، قد يدفع أحدهما أو كليهما إلى أساليب متطرفة للدفاع عن القضية، التي يتم تبنيها، ولذلك نجد أن أكثر من منظمة إرهابية قد تعلن تبنيها

العملية الإرهابية نفسها[14].

3- التطرف داخل دائرة المجتمع: فمن الممكن أن يحدث التطرف نتيجة:

أ- أسباب مجتمعية وثقافية: تتجسد في تأثر سلوكيات الفرد بثقافة المجتمع الذي ينشأ فيه وما تشمله تلك الثقافة من طقوس، وأحداث، وأفكار، وقيم وغيرها من المكونات الثقافية. وجدير بالذكر أن ذلك الاتجاه في تفسير التطرف يُطلق عليه التفسير الانثوجرافي[15].

ب- اختفاء طرق التفكير الناقد: والحوار البنّاء، والتناول العلمي للقضايا كافة من المؤسسات التربوية والإعلامية، حيث يُعد ذلك من عيوب التربية والتعليم في المؤسسات التعليمية التي أصبحت تعتمد على التلقين وهو ما يُجمِّد الفكر ويُسطحه ويُدعم الإرهاب والعنف بطرق مُباشرة أو غير مُباشرة[16].

ج- عدم قيام المؤسسات المجتمعية والإعلامية والحكومية بأدوارها: وهو ما يؤدي إلى الشعور بعدم العدالة والشعور بالإحباط، الأمر الذي قد يكون رد فعله هو التمرد العنيف تجاه تلك المؤسسات[17].

د- الفهم الخاطئ للدين: ومبادئه وأحكامه، والفهم الخاطئ لطبيعة المجتمعات الإنسانية في كونها لا تتغير إلا بالتشدد والعنف.

هـ- التكنولوجيا والعولمة: فهما من العوامل المُيسرة لتحريك ونشر الأيديولوجيات المتطرفة بشكل كبير[18]، حيث أصبح هناك العديد من المواقع المُصممة بلغات مُتعددة لدعم التطرف، والتي تُعد بمنزلة أداة قوية لتجنيد المُتعاطفين مع قضية ما للدفاع عنها والمُحاربة من أجلها عبر غرف الدردشة وأدوات الإنترنت المختلفة. بل وتوفير تدريب للمستجيبين وتمكينهم من الاتصال مع ذوي الخبرة في هذا المجال[19] وهو الأمر الذي يتم بسرعة كبيرة نظراً لخصائص الإنترنت التي توفر الانتشار الكبير في وقت قليل وبمجهود ضئيل.

و- الصراعات السياسية: وينتج هذا التطرف عن بعض الأحداث السياسية أو الأمنية التي قد تتعرض لها دولة ما، فينتج عنها احتقان للمواطنين من تلك الأحداث ومرتكبيها. وتُعد أحداث 11 سبتمبر مثالاً صارخاً على هذا النمط، والذي بسببه أصبح هناك موقفاً عدائياً بين الأمريكيين والمسلمين.

ز- الكراهية: ينتج هذا النوع من التطرف نتيجة لصراع طويل وممتد، وأبرز مثال عليه ما نتج من احتقان وكراهية بين الشعب الأمريكي والياباني أثناء الحرب العالمية الثانية[20].

ومما سبق، يتضح أن التطرف ظاهرة مُركبة لها أبعادها الفكرية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية المُسبِبة لها والمؤثرة على ظهورها. ويمكن القول إن التطرف قد يفضي إلى الإرهاب في حال ارتباطه بالسلوك العنيف؛ ويعني هذا أن أعمال العنف والإرهاب يُمكن تجنبها في حالة مُحاربة التطرف والقضاء عليه. وهو الأمر الذي يستلزم وضع تدابير وإجراءات قصيرة وطويلة المدى تستهدف كافة الفئات التي قد تكون عُرضة للتطرف لضمان القضاء عليه.

1- يونس زكور، مفهوم التطرف وعلاقته بالإرهاب، **شبكة النبأ المعلوماتية**، 14 ديسمبر 2006، موجود على الرابط التالي: http://annabaa.org/nbanews/60/467.htm

2- Roots of violent radicalization, Nineteenth Report of Session 2010–12, Volume I, **House of Commons, Home Affairs Committee**, London, 2012, (p. 4), accessible at: http://www.publications.parliament.uk/pa/cm201012/cmselect/cmhaff/1446/1446.pdf

3- Rohan Gunaratua, Terrorist rehabilitation: An introduction to concepts & practices, **Pakistan Journal of Criminology**, Vol. 3 / 4, no. 4 / 1, April / July 2012, p. 146.

4- The Radicalization Process, accessible at: http://www.dhra.mil/perserec/osg/terrorism/radicalization.htm

5- محمد حمزة، **مكافحة الإرهاب والتطرف وأسلوب المراجعة الفكرية**، (وزارة الداخلية، جمهورية مصر العربية، 2012)، ص 5.

6- Roots of violent radicalization, Nineteenth Report of Session 2010–12, Volume I, **House of Commons, Home Affairs Committee**, London, 2012, (p. 4), accessible at: http://www.publications.parliament.uk/pa/cm201012/cmselect/cmhaff/1446/1446.pdf

7- Holly F. Young and others, Translating Conceptualizations into Practical Suggestions: What the Literature on Radicalization Can Offer to Practitioners, Peace and Conflict, **Journal of Peace Psychology**, Vol. 21, No. 2, 2015, p. 213.

8- The Radicalization Process, accessible at: http://www.dhra.mil/perserec/osg/terrorism/radicalization.htm

9- يونس زكور، مفهوم التطرف وعلاقته بالإرهاب، **شبكة النبأ المعلوماتية**، 14 ديسمبر 2006، موجود على الرابط التالي: http://annabaa.org/nbanews/60/467.htm

10- Rogelio ALONSO (et al.), Radicalization Processes Leading to Acts of Terrorism, **European Commission's Expert Group on Violent Radicalization**, May 2008, (pp. 5 – 6), accessible at: http://www.clingendael.nl/sites/default/files/20080500_cscp_report_vries.pdf

11- Prisons and Terrorism Radicalization and De-radicalization in 15 Countries, **The International Centre for the Study of Radicalization and Political Violence (ICSR),** 2010, (p. 2), accessible at: http://www.clingendael.nl/sites/default/files/Prisons-and-terrorism-15-countries.pdf

12- عبدالرحمن الحبيب، تفسيرات علمية لظاهرة التطرف، **موقع الجزيرة.كوم**، مايو 2014، موجود على الرابط التالي: http://www.al-jazirah.com/2014/20140526/ar2.htm

13- William A. Costanza, Adjusting Our Gaze: An Alternative Approach to Understanding Youth Radicalization, **Journal of Strategic Security**, no. 1, Volume 8, no., 1-2, Spring/ Summer 2015, p. 1.

14- Clark McCauley & Sophia Moskalenko, Mechanisms of Political Radicalization: Pathways Toward Terrorism, **Terrorism and Political Violence,** Vol. 20, Issue 3, 2008, p. 242.

15- William A. Costanza, **Op.Cit.,** p. 3.

16- أسماء بنت عبدالعزيز الحسين، **أسباب الإرهاب والعنف والتطرف: دراسة تحليلية**، كلية التربية للبنات، الرياض، المملكة العربية السعودية (غير مبين سنة النشر)، (ص 9)، موجود على الرابط التالي: http://www.assakina.com/files/books/book19.pdf

17- Roots of violent radicalization, Nineteenth Report of Session 2010–12, Volume I, **House of Commons, Home Affairs Committee**, London, 2012, (p. 12), accessible at: http://www.publications.parliament.uk/pa/cm201012/cmselect/cmhaff/1446/1446.pdf.

18- الأمم المتحدة، تقرير مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان بشأن حماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية في سياق مكافحة الإرهاب الجمعية العامة، **مجلس حقوق الإنسان**، الدورة الثامنة والعشرون، 19 ديسمبر 2014، (ص 9)، موجود على الرابط التالي: http://www.ohchr.org/EN/HRBodies/HRC/RegularSessions/Session28/Documents/A_HRC_28_28_ARA.doc

19- The Radicalization Process, accessible at: http://www.dhra.mil/perserec/osg/terrorism/radicalization.htm

20- Clark McCauley & Sophia Moskalenko, **op.cit**., pp. 417 – 418.



د. شادي عبدالوهاب
رئيس وحدة تقدير الاتجاهات الأمنية
مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة

حرب الأفكار:

اقترابان أساسيان لتأهيل المتطرفين وتحصين المجتمعات

أدى تزايد نشاط الجماعات الإرهابية منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 لإثارة الجدل حول أفضل الاقترابات الكفيلة بمعالجة ظاهرة التطرف، وقد تجدد هذا النقاش مرة أخرى في أعقاب تنامي قدرات التنظيمات الإرهابية، خاصة في ظل سيطرة بعضها على مناطق وحكمها، كما في حالة "داعش" في سوريا والعراق، أو فروعه المنتشرة في الإقليم، لاسيما في نيجيريا وليبيا.

ويمكن القول إن هناك اقترابين أساسيين اتبعتها الدول في مكافحة الإرهاب والتطرف، ويتمثل الاقتراب الأول في الاقتراب الصلب في مواجهة الإرهاب، والذي يستند إلى الأساليب الأمنية والعسكرية للقضاء على التنظيمات الإرهابية، في حين يركز الاقتراب الثاني، وهو الاقتراب الناعم، على مواجهة الفكر المتطرف، ويتمثل في برنامجين أساسيين هما: برامج مكافحة التطرف (Counter-radicalization) وعلاج المتطرفين (De-radicalization)، وسوف تركز المقالة على الاقتراب الثاني.

أولاً: الاقترابات الناعمة في مكافحة التطرف

في إطار الاقترابات الناعمة، يمكن في البداية التمييز بين مفهومين أساسيين هما: مكافحة التطرف وعلاج المتطرفين، وذلك على النحو التالي:

1- مكافحة التطرف: هي حزمة من السياسات والإجراءات التي تهدف لمنع الشباب أو الفئات والمجتمعات الأكثر عرضة للتهميش من التحول إلى التطرف، وبالتالي فإن مكافحة التطرف، وعلى النقيض من مكافحة الإرهاب، لا تستهدف العناصر الإرهابية، ولكنها تستهدف تحصين المجتمعات من العناصر الإرهابية، التي تسعى للحصول على دعمهم، سواء من خلال التعاطف، أو التجنيد، أو الدعم المادي، أو غيرها من أشكال الدعم[1].

2- "علاج المتطرفين"، فهي مجموعة من السياسات والإجراءات، التي تقوم بتصميمها وتنفيذها السلطات الحكومية من أجل إقناع العناصر الإرهابية بالتخلي عن أفكارهم المتطرفة ونبذ العنف، وتبني مبادئ الاعتدال والتسامح والتعايش[2].

ومن المُلاحظ أن عملية علاج المتطرفين قد تتم على أسس فردية، أو بصورة جماعية، أي في مواجهة منظمة إرهابية كبيرة، كما أن هذه العملية قد تكون عملية مفروضة من أعلى إلى أسفل، أي مفروضة من قبل الحكومة على الجماعة الإرهابية، كما في حالتي السعودية واليمن، أو تكون من أسفل إلى أعلى، أي أن تتم بصورة تلقائية من قبل الجماعة الإرهابية نفسها، كما في حالتي الجماعة الإسلامية وتنظيم الجهاد الإسلامي في مصر.

وقد تتم هذه العملية داخل السجون، كما في أغلب الحالات، أو خارج السجون، ولعل المثال الأبرز هو حالة جبهة الإنقاذ الإسلامية في الجزائر، والذين قاموا بعملية المراجعة خلال تواجدهم خارج السجون في الجبال[3].

وبصورة إجمالية، فإن السمة المشتركة لكل من عملية مكافحة التطرف وعلاج المتطرفين هي الاعتماد على السياسات "الناعمة" غير العنيفة، وذلك بهدف كسب العقول والقلوب للأفراد والجماعات والمجتمعات الأكثر عرضة للتطرف[4].

ثانياً: عناصر برامج علاج المتطرفين

طبقت العديد من الدول برامج علاج المتطرفين في الشرق الأوسط وأوروبا وجنوب شرق آسيا، وبمراجعة أوجه الشبه والاختلاف بين هذه التجارب، يُلاحظ أن السمة المشتركة في تجارب كل من جنوب شرق آسيا والشرق الأوسط، هو التركيز على القيام بمراجعات فكرية، يتم من خلالها غرس الفهم الصحيح للدين الإسلامي بين المدانين بجرائم الإرهاب، وذلك من خلال التحاور مع رجال الدين أو الإرهابيين التائبين، وذلك لإقناعهم بأن استخدام العنف يتعارض مع صحيح الدين الإسلامي.

أما البرامج الأوروبية، خاصة الألمانية والنرويجية والسويدية، فهي في الغالب الأعم من الحالات أغفلت الجانب الإيديولوجي، وركزت بدلاً من ذلك على الجوانب العملية، وتقديم الحوافز الاقتصادية، للأشخاص الذين نبذوا العنف، فضلاً عن مساعدتهم في إقامة روابط اجتماعية جديدة، خارج إطار الجماعات المتطرفة، ويمكن إرجاع ذلك إلى صعوبة إقناع الدول الأوروبية "المسيحية" للعناصر المدانة بالإرهاب على تبني الفهم الصحيح للدين الإسلامي[5].

أما السمة المشتركة بين البرامج الثلاثة، فتتمثل في الاستعانة بأشخاص مثل رجال الدين أو الإرهابيين التائبين أو أعضاء من العائلة، والذين يستطيعون ممارسة تأثير أكبر من السلطات الرسمية على العنصر الإرهابي ودفعه لنبذ العنف[6].

وتجدر الإشارة هنا إلى أهمية تبني اقتراب شامل في برامج "علاج المتطرفين"، إذ لا ينبغي التركيز على المراجعات الفكرية وحدها، ولكن يجب تبني نظرة شاملة، تشمل كذلك إعادة التأهيل الاجتماعي والمهني والنفسي لهم ولذويهم.

ويرجع ذلك إلى حقيقة أنه عندما ينضم الفرد إلى جماعة متطرفة، فإنه يطور عدداً من الروابط الاجتماعية داخلها، مثل الصداقة، فضلاً عن اعتماده عليها لتلبية احتياجاته الأساسية المادية والمعنوية، ومن ثم، فإن عملية علاج المتطرفين لن تنجح بالاعتماد على المراجعات الفكرية وحدها، ولكن من خلال القضاء على علاقته بالتنظيم المتطرف، وإيجاد روابط مجتمعية بديلة، تلبي احتياجاته المادية والنفسية، وتوفر الدعم لأسرته[7]. ويمكن إيجاز أهم عناصر برامج علاج المتطرفين في النقاط التالية:

1- المراجعة الفكرية:

يعد هذا المكون على قدر كبير من الأهمية، إذ إن معظم العناصر الإرهابية والمتطرفة تعتمد على فهم خاطئ ومشوه للدين لتبرير جرائمها، وتكشف الأدلة العملية أن أغلب العناصر المتطرفة تكون معرفتها الدينية سطحية، وهو ما يجعلهم عرضة لدعاية الجماعات المتطرفة والانصياع لها[8].

ومن أبرز الأمثلة على ذلك برنامج "المناصحة الفكرية"، والذي تم إطلاقه تحت رعاية وزارة الداخلية السعودية، لعلاج العناصر الإرهابية التي تم إلقاء القبض عليها، وتمثلت أهم مكونات البرنامج في دخول رجال الدين في حوار مع تلك العناصر حول الأفكار الدينية والمذاهب الفكرية التي تعارض ما يؤمنون به، وذلك في محاولة لتغيير موقفهم من العنف، حيث يركز رجال الدين جهودهم على إقناعهم بأنهم تم خداعهم من خلال تفسيرات متطرفة وضالة تحيد عن صحيح الإسلام.

وتشبه عملية المناصحة الدراسة الأكاديمية، حيث يحضر المسجونون فصولاً يحاضر فيها كل من رجال الدين، وعلماء علم النفس، ويتلقوا دروساً تتراوح بين الدروس الدينية، وتلك التي تتعلق بالثقة بالنفس، وإذا ما اجتازوا هذه البرامج بنجاح، يتم تخفيف العقوبات المفروضة عليهم، ولكنهم يجب عليهم الاستمرار في لقاء رجال الدين بصورة دورية.

أما في الحالة المصرية، فقد تم تشجيع قادة الجماعات الإرهابية المسجونين على كتابة مراجعات فكرية، تنبذ العنف بالاستناد إلى حجج دينية، ثم قامت الحكومة المصرية بنشرها من أجل التأثير في الرأي العام، وفي المقابل، تم الإفراج عن العناصر الإرهابية التي قامت بإجراء مراجعات فكرية ناجحة[9].

وتكشف الحالة البريطانية عن تجربة مماثلة، فقد قامت السجون بالاعتماد على رجال الدين الإسلامي للتحاور مع الإرهابيين، سواء في فترة اعتقالهم في السجن، أو حتى بعد الإفراج عنهم، والذين يهدفون لتصحيح فهمهم للدين الإسلامي، خاصة أن بعض الدراسات التي أجريت على هؤلاء المساجين كشفت عن أن أغلبهم يمتلك معرفة محدودة بالدين ولمفهوم الجهاد في الإسلام[10].

2- إشراك أفراد من الأسرة:

تلعب الأسرة دوراً مهماً في برامج علاج المتطرفين، وذلك على النحو التالي:

• إقناع الفرد بالاستتابة أثناء فترة سجنه، وهو يعد أحد الملامح الأساسية لبرامج علاج المتطرفين في كل البرامج التي طبقت في الاتحاد الأوروبي والشرق الأوسط، وجنوب شرق آسيا.

• مساعدته في الاستمرار بعيداً عن التطرف بعد الإفراج عنه، إذ إن أغلب المسجونين سوف يعودون إلى أسرهم بعد الإفراج عنهم، ومن خلال الأسرة، فإن الفرد، إما سيعاد إدماجه في المجتمع، أو سوف يعود مرة أخرى إلى التطرف، وعلى سبيل المثال، فإنه عندما سئل العديد من الكويتيين العائدين من جوانتانامو حول أهم أسباب إدماجهم في المجتمع، أشار معظمهم إلى دور عائلتهم في مساعدتهم على الابتعاد عن الجماعات المتطرفة، وتبرز أهمية دور العائلة بصورة أساسية في الدول الإسلامية والعربية[11].

3- التأهيل الاجتماعي:

إذ إنه عندما يتم إلقاء القبض على رب الأسرة، المدان بجرائم إرهابية، فإن الأسرة قد تفقد مصدر الدخل، خاصة إذا ما كان هو العائل الوحيد لهم، وهنا تبرز أهمية مساعدة الزوجة والأطفال مادياً ونفسياً واجتماعياً، حتى لا يشعرون بأنهم إرهابيون ومعزولون، حتى لا يكونون نواة للإرهاب والتطرف من جديد، ويتم ذلك بمبادرة من الدولة، كما في الحالة السعودية، أو من منظمات المجتمع المدني، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه البرامج قد تستمر حتى بعد الإفراج عن الأب[12].

ولعل أبرز مثال على ذلك، سنغافورة، والتي هدفت كذلك من خلال تقديم الدعم لأسرة المعتقل، حتى لا يشعر بعد الإفراج عنه، أن أسرته قد عانت خلال الفترة، التي قضاها في السجن، وأنه لن يعود مرة أخرى للتطرف بعد الإفراج عنه[13].

4- التأهيل المهني:

فمن أجل إعادة إدماج المدانين سابقاً بالإرهاب في المجتمع، فإنهم في حاجة لتطويرهم تعليمياً وتدريبياً، لإكسابهم المهارات اللازمة للحصول على وظيفة، مثل التجارة أو الزراعة أو غيرها من الوظائف، لكن من الملاحظ أنه يجب تجنب تعليمهم بعض المهارات مثل هندسة الإلكترونيات، حتى لا يتمكنوا من امتلاك الخبرة اللازمة لبناء الدوائر الكهربائية اللازمة لتصنيع القنابل[14].

5- التأهيل النفسي:

فمن منظور علم النفس، فإنه من الأسهل تغيير سلوك الفرد من خلال تقديم الحوافز بدلاً من تهديدهم بفرض العقاب، وتهدف بصورة أساسية إلى تطوير مهاراتهم العقلية وتطوير قدراتهم الاتصالية، بما يساعدهم لاحقاً عند دمجهم في المجتمع[15].

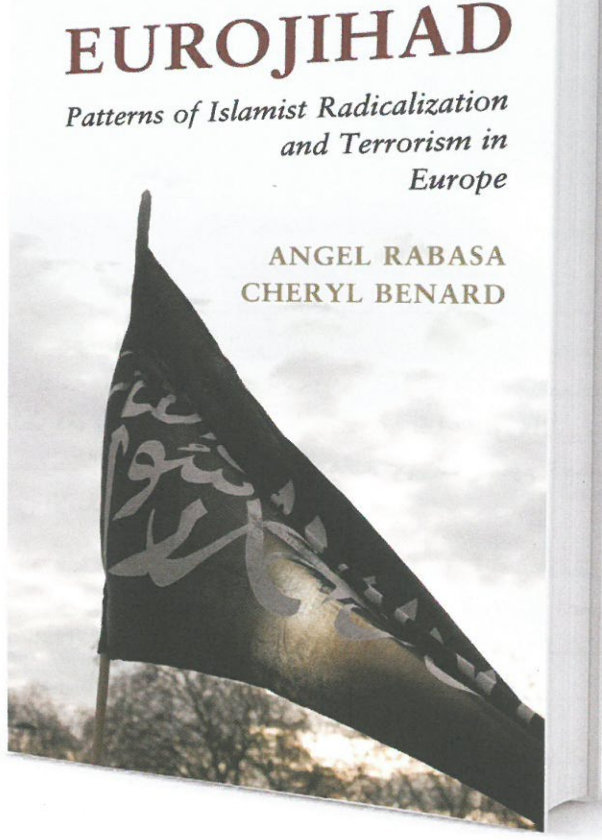
ثالثاً: مكونات برامج مكافحة التطرف

يمثل المجتمع عنصراً مهماً في مواجهة العناصر الإرهابية، فهو قد يمثل البيئة الحاضنة للتطرف، ومن أجل حرمان الجماعات الإرهابية من إقامة حواضن مجتمعية لها، فإنه ينبغي على الحكومات وضع استراتيجيات للتعرف على القطاعات المجتمعية الأكثر عرضة للتطرف، ووضع سياسات لتحصينها من التطرف[16]، وتتمثل أهم مكونات برامج مكافحة التطرف في التالي:

1- التواصل مع المجتمعات مسلمة:

تعد من أهم الاقترابات الجديدة لدول الاتحاد الأوروبي التواصل مع المجتمعات الإسلامية، وعلى الرغم من أن الحكومات الأوروبية متفقة على أهمية التحاور مع المجتمعات الإسلامية، لكنها تختلف حول الجهات التي يتم التحاور معها، إذ إن هناك عدداً من الدول الأوروبية، مثل بريطانيا، ترى ضرورة التحاور مع المنظمات الإسلامية البريطانية السلفية والمحافظة، وذلك بدلاً من التحاور مع المنظمات الإسلامية الليبرالية، وذلك على أساس أن الجماعات الإسلامية المحافظة تتمتع بالمصداقية في مواجهة الشباب المتطرف، وبالتالي ستلعب دوراً أكبر في إقناعهم بالتخلي عن العنف.

وتفضل الدوائر الأمنية التعامل مع تلك المنظمات، وعلى سبيل المثال، فإن روبرت لامبرت، رئيس وحدة الاتصال بالمسلمين في نيو سكوتلاند يارد، قد أشار إلى أن السلفيين من الهنود الشرقيين سيطروا على مسجد في بركستون في لندن في عام 1990، ومنعوا عمر محمود عثمان الملقب بأبي قتادة، أحد أبرز رموز التيار السلفي الجهادي، من الهيمنة على المسجد.



ولكن هذه السياسة تعاني قصور واضح في أن العمل مع هذه المنظمات السلفية سوف يضفي الشرعية عليهم كمتحدث باسم الأقليات الإسلامية، كما أنه سيدعم من جهودها لبناء مجتمعات موازية داخل دول الاتحاد الأوروبي، وقد توصلت بريطانيا لقناعة بضرورة تغيير هذه السياسة، والعمل مع المنظمات الإسلامية التي تتبنى القيم والمؤسسات الغربية وتؤمن بضرورة اندماج المسلمين في المجتمعات الأوروبية[17].

2- تحصين المجتمع:

إن أحد أهداف استراتيجية الاتحاد الأوروبي لمكافحة الإرهاب (EU counter – Terrorism Strategy)، هو مواجهة المشاكل المجتمعية، التي تخلق البيئة المناسبة لظهور التطرف، والتي تتمثل في غياب الأفق السياسي والاقتصادي، والصراعات الداخلية والخارجية، والفرص التعليمية غير الملائمة، وهذه الصفات قد تكون متوفرة بصورة كبيرة في مجتمع الأقليات، ومن أجل مواجهة هذه الظروف أشارت الاستراتيجية الأوروبية إلى ضرورة مواجهة كافة أشكال التمييز وعدم المساواة، وتشجيع الحوار بين الثقافات المختلفة، فضلاً عن تطبيق سياسة الإدماج، على المدى الطويل[18].

وفي المغرب، قامت الحكومة بوضع خطة لإصلاح المساجد، والاستثمار في تدريب الأئمة، فضلاً عن إحياء الثقافة الإسلامية،

ويضاف إلى ما سبق، تركيز الحكومة المغربية على تعليم الشباب، وفتح النوادي والمكتبات أمامهم، وإيجاد فرص عمل مناسبة لهم[19].

أما في الحالة البريطانية، فقد تبنت الحكومة بدءاً من يوليو 2006 وثيقة "استراتيجية مكافحة الإرهاب"، وقد جادلت الوثيقة بأن "مكافحة التطرف تبدأ من مواجهة المشاكل الهيكلية التي تعاني منها بريطانيا، والتي تساعد على انتشار التطرف، وركزت على مخاطبة مشاكل مثل عدم المساواة، وتحسين ظروف السكن والتعليم للمسلمين، بالإضافة إلى إيجاد فرص عمل لهم، كما ركزت على زيادة التكامل المجتمعي من خلال إنشاء "المفوضية من أجل التكامل والانسجام"، والتي تهدف لمعالجة الأسباب التي تحول دون إدماج الأقليات، والعمل من خلالها من أجل مواجهة الأيديولوجيات المتطرفة[20].

3- مواجهة دعاية الجماعات المتطرفة:

تهدف إلى تصوير الصراعات الدولية على أنها دليل على الصدام بين الإسلام والغرب، كما توظفها من أجل التأكيد على فكرة "المظلومية" والاضطهاد الذي يتعرض له المسلمون، وتوفر لهم وسيلة للتعبير عن غضبهم من خلال العنف، ومن أجل مواجهة هذه المخاطر، فإنه يجب على الاتحاد الأوروبي التعاون مع المنظمات الإسلامية المعتدلة، ودعم ظهور أئمة أوروبيين معتدلين، فضلاً عن السعي لتغيير الإدراك السلبي لدول وحكومات الاتحاد الأوروبي لدى الجماعات الإسلامية، وكذلك تغيير الإدراك السلبي عن الإسلام والمسلمين، أو الربط بين الإسلام والإرهاب[21].

خاتمة

يمكن القول إن هناك حاجة ملحة لتبني الاقترابات الناعمة لمواجهة التطرف، وذلك لضمان تجفيف الدعم للجماعات الإرهابية، ومنعها من تجنيد مزيد من الأنصار، ولكن في الوقت ذاته، ينبغي التأكيد على أن تلك الاقترابات لا تمثل بديلاً للاستراتيجيات الأمنية والقمعية في مواجهة الإرهاب، بل يمكن اعتبارها استراتيجيات تكميلية، ولعل النظر إلى كل من الاستراتيجية السعودية والبريطانية، على سبيل المثال، يوضح ذلك، فالمواجهات الأمنية في السعودية ضد التنظيمات الإرهابية، قد تزامن معها برنامج "المناصحة".

أما الاستراتيجية البريطانية لمواجهة الإرهاب، فقد ارتكزت على أربعة عناصر أساسية، هي: تعقب العناصر الإرهابية (Pursue)، وحماية البنية التحتية والمناطق المزدحمة (Protect)، ورفع جاهزية أنظمة الطوارئ (Prepare)، ومنع الأفراد من التحوّل إلى التطرف (Prevent)[22]، وهو ما يوضح في النهاية ضرورة الجمع بين الاقترابين، وأن الاقترابات الناعمة قد تصلح وحدها في الدول، التي لا تعاني من وجود تنظيمات إرهابية نشطة.

1- Hamid El Said, **New approaches to counter-terrorism: Designing & Evaluating Counter-radicalization & De-radicalization programs**, (New York: Palgrave Macmillan, 1st edition: 2015), pp. 9 – 10.

2- Rohan Gunaratna, Terrorism Rehabilitation: An introduction to concepts & practices, **Pakistan Journal of Criminology**, Vol. 3 – 4, no. 4 – 1, April – July 2012, p. 147.

3- Hamid El Said, **op.cit.**, pp. 10 – 11.

4- **Ibid**., p. 11.

5- Daniela Ștefănescu, Deradicalization: Different Approaches, **The International Annual Scientific Session Strategies**, no. XXI, 2015, p. 85.

6- Anja Dalgaard-Nielsen, Promoting Exit form Violent Extremism: Themes & Approaches, **Studies in Conflict & Terrorism**, Vol. 36, Issue 2, 2013, p. 100.

7- Angel Rabasa ... (et al.), **Deradicalizing Islamist Extremists**, (Santa Monica: RAND Corporation, 2010), PP. 42 – 44.

8- Hamed El-Said, **op.cit.**, p. 27.

9- Kimberlyn Leary, Engaging extremists: Diplomacy through Deradicalization, **Kennedy School Review**, Vol. 9, 2009, pp. 115 – 116.

10- Imran Awan, Muslim Prisoners, Radicalization & Rehabilitation in British prisons, **Journal of Muslim Minority Affairs**, Vol. 33, no. 3, 2013, pp. 379 – 381.

11- Hamed El-Said, **op.cit**., p. 38.

12- Rohan Gunaratna, The Battlefield Of The Mind: Rehabilitating Muslim Terrorists, **UNISCI Discussion Papers**, No. 21, October 2009, p. 151.

13- A new Approach? Deradicalization programs & counterterrorism, **International Peace Institute**, June 2010, (p. 9), accessible at: http://goo.gl/DPE8il

14- Rohan Gunaratna, **op.cit**., p. 151.

15- **Ibid**., pp. 150 – 151.

16- Rohan Gunaratna, Communities defeat terrorism: Post 9/11 community engagement strategies, **UNISCI Discussion Papers**, No. 27, October 2011, p.281.

17- Angel Rabasa & Cheryl Benard, **Euro Jihad: Patterns of Islamist Radicalization & Terrorism in Europe**, (New York: Cambridge "University press, 1st edition: 2015), pp. 179 – 180.

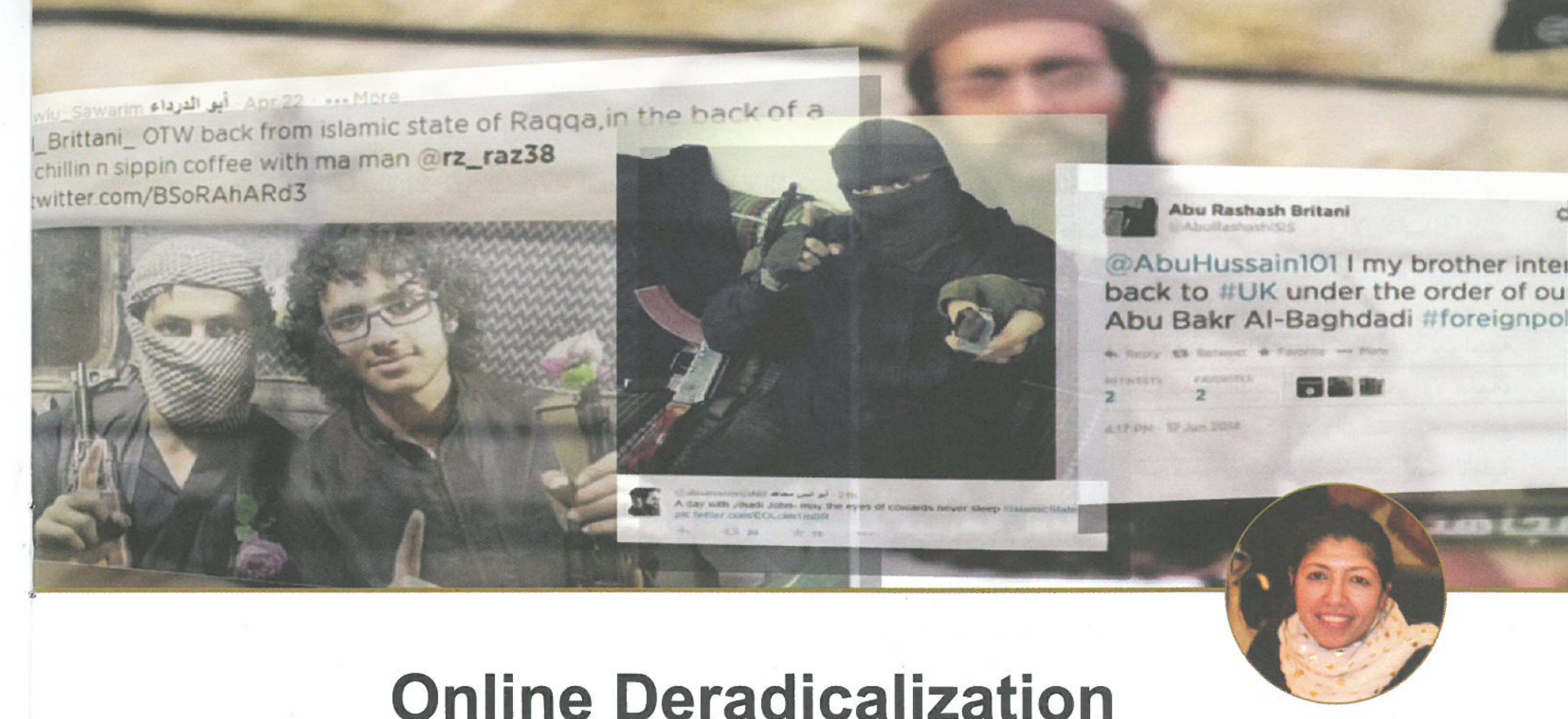
18- Edwin Bakker, EU counter – Radicalization policies: A comprehensive & consistent Approach?, **Intelligence & National Security,** Vol. 3, no. 2 – 3, 2015, p. 239.

19- A new Approach? Deradicalization programs & counterterrorism, **International Peace Institute**, June 2010, (p. 9), accessible at: http://goo.gl/DPE8il

20- Anthony Richards, The problem with radicalization: the remit of "Prevent" & the need to refocus on Terrorism in the UK, **International Affairs**, Vol. 87, no. 1, 2011, p.146.

21- **Ibid**., p. 292.

22- Charlotte Heath – Kelly, Counterterrorism & counterfactual: Producing the radicalization discourse & the UK prevent strategy, **The British Journal of Politics & International Relations**, Vol. 15, Issue 3, August 2013, p. 402.



Online Deradicalization

استراتيجيات مواجهة الفكر المتطرف في الفضاء الإلكتروني

هالة الحفناوي
رئيس وحدة تقييم التفاعلات المجتمعية
مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة

وضعت العديد من دول العالم في الفترة الأخيرة استراتيجيات مختلفة لمواجهة التطرف الإلكتروني، ضمن أولوياتها لمكافحة الارهاب والتطرف العنيف، وذلك بعد أن استغلت التنظيمات الارهابية والمتطرفة وغيرهم من الفاعلين من غير الدول، الانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي لنشر التطرف، وتجنيد أعضاء جدد، والتحريض على ممارسة أعمال العنف.

ويبدو أن هذا الاتجاه سوف يستمر في التصاعد في المستقبل المنظور، خاصة في ظل وقوع عدد من الحوادث الإرهابية، سواء في الدول العربية أو الغربية، والتي تطرف القائمون بها من خلال الإنترنت. فعلى سبيل المثال أشارت استراتيجية البيت الأبيض لمكافحة التطرف الصادرة في عام 2011، إلى دور الإنترنت في تحويل التطرف الفكري إلى إرهاب، وهو ما يعكس إدراك المؤسسات الأمنية المختلفة لأولوية مواجهة الإرهابيين في الفضاء الإلكتروني[1].

في هذا الإطار يتناول المقال وسائل توظيف الجماعات الارهابية للإنترنت، وكيف يمكن أن يتطرف الأشخاص العاديون من خلالها، وتقدم الاستراتيجيات الأساسية التي اتبعتها الدول المختلفة لمواجهة التطرف الإلكتروني.

أولاً: توظيف الجماعات الارهابية للإنترنت

"أفضل طريقة للتنظيم ليست إنشاء منظمة ... فجبهة "الأيدولوجيا" هي الأقدر على النجاة في مواجهة أي تدابير أمنية"... هذه الكلمات للجهادي أبي مصعب السوري، أحد أبرز منظري السلفية الجهادية، تُلخص مدى إدراك الجماعات المتطرفة وتركيزها على "الفكرة" ومحاولة نشرها بكل طريقة ممكنة، باعتبارها أهم استراتيجية للبقاء. وتلعب شبكات التواصل الاجتماعي، دوراً مهماً، في الترويج والدعاية للأفكار المتطرفة ونشرها، وتسهيل عملية التطرف والتجنيد[2]، ولذلك يطلق البعض على مواقع الجماعات الإرهابية والمتطرفة بشكل عام اسم "الشبكة السوداء" (The Dark Web)[3].

ويمكن القول إن هناك عدة وظائف لاستخدامات الجماعات المتطرفة للإنترنت، وهي:

1- الإرهاب السيبراني: أي محاولة تنفيذ بعض الهجمات في الفضاء الإلكتروني، ومع أن عدد الهجمات الإلكترونية التي تتبناها الجماعات الإرهابية لايزال محدوداً، وغير مؤثر[4]. فثمة احتمال بزيادة تلك النوعية من الهجمات للجماعات الإرهابية مستقبلاً.

2- التدريب: تهتم الجماعات الإرهابية بإنتاج ونشر العديد من الفيديوهات عن كيفية تصنيع قنابل من مواد متوفرة في المنازل، فضلاً عن إكسابهم المهارات اللازمة للقيام بعمليات إرهابية، والتي تستهدف من خلالها تعليم وتدريب الذئاب المنفردة.

3- جمع المعلومات الاستخباراتية: تستخدم الجماعات الإرهابية الإنترنت باعتبارها مصدراً مفتوحاً للبيانات، تقوم من خلالها بتجميع معلومات عن أعدائها، أو الأهداف التي تستهدفها.

4- إدارة الحرب النفسية: تعمل الجماعات المتطرفة على تصميم ونشر الفيديوهات التي من شأنها نشر الرعب والخوف منها، والتضخيم من حجم التهديد الذي تمثله على الدول، ويعد "داعش" من أبرع التنظيمات الإرهابية في هذا الإطار، إذ حرص على وجود فريق ذي مهارات عالية لإنتاج تلك الفيديوهات بتقنية وجودة عاليتين[5].

5- استخدامات التواصل: أنشأت الجماعات المتطرفة عالمها

الخاص في الفضاء الإلكتروني منذ التسعينيات، من خلال المواقع الإلكترونية، التي تنشر أخبار التنظيم، والصفحات الشخصية للقيادات، خاصة لقتلى "الجهاديين"، فضلاً عن توظيف اليوتيوب والفيسبوك وتويتر للوصول لأكبر عدد من الناس، ولفئات اجتماعية جديدة كان من الصعب الوصول لها من قبل مثل الأجانب، خاصة مع إنتاج فيديوهات مناصرة للقاعدة باللغة الإنجليزية، والمرأة[6].

6- جمع التبرعات: تسعى الجماعات المتطرفة للحصول على تمويل من خلال جمع التبرعات عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي لدعم العمليات الإرهابية، غير أن مدى تمكن الجماعات المتطرفة أو الإرهابية من زيادة ميزانيتها من خلال هذه الآلية لايزال محل جدل، ويشوبه أحياناً بعض التضخيم، فعلى سبيل المثال نشر جهاز المخابرات الهولندي تقييماً يرى أن الجماعات المتطرفة لم تنجح بعد في رفع تمويلها عن طريق الإنترنت[7].

ثانياً: تكتيكات المتطرفين عبر الإنترنت

تستخدم الجماعات المتطرفة تكتيكات مختلفة لنشر وتعزيز الأفكار المتطرفة عبر الإنترنت، وهو ما قد يقود تلقائياً إلى تطرف بعض الأشخاص العاديين، خاصة من فئة الشباب الذين يقضون وقتاً طويلاً في متابعة الأحداث ومشاهدة الفيديوهات التي تبث على شبكات التواصل الاجتماعي، لاسيما أن الإنترنت تقدم ميزة مهمة هي السماح بإخفاء هوية الفرد، ما يعطيه شعوراً بعدم المسؤولية عن أي أفعال أو أقوال يصدرها داخل هذا العالم الافتراضي، كما تختفي أمامه القيود المجتمعية التي تحيط به في العالم الواقعي، فيما يعرف بسقوط المحرمات في الفضاء الإلكتروني (Online Disinhibition)، وهو ما يجعل الأفراد أكثر حرية في التعبير عن أفكارهم المتطرفة، كما قد ينعكس على سلوكهم، الذي قد يصبح أكثر عنفاً[8].

وقد حدد الخبراء أسباب نجاح التنظيمات الإرهابية في التمكن من اقتناع بعض الأفراد بأفكار متطرفة فيما يلي[9]:

1- طول فترة التعرض: إذ إن التعرض لأفكار وروايات المتطرفين باستمرار، وعلى مدى زمني طويل نسبياً، فضلاً عن مشاهدة الفيديوهات والحجج والروايات، قد يؤثر تدريجياً في مشاعر الفرد، خاصة مشاهدة العمليات الانتحارية، إذ إن ذلك كله قد يدفع إلى التعاطف مع الجماعات الإرهابية أو مع قضيتهم، ويخلق حالة من الدعم النفسي لمثل تلك الأفعال، ومن ثم التحول تدريجياً نحو التطرف.

2- التركيز على ضحايا مناطق الصراعات: فعادة ما تقوم الجماعات الإرهابية بنشر فيديوهات من مناطق الصراعات، تركز على سقوط الضحايا من المدنيين نتيجة للاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، أو الأمريكي للعراق، أو الذين يسقطون عن طريق الخطأ أثناء استهداف الجماعات الإرهابية، وذلك في رسالة ضمنية تهدف إلى التأكيد على تدمير القوات الغربية للدول الإسلامية وسرقة ثرواتها، وتعد هذه الآلية هي أكثر الآليات تأثيراً في تجنيد المتطرفين، خاصة أنها تبرر توجيه الأعمال الإرهابية ضد الدول الغربية، وتبرر العنف تجاه الدول العربية التي لا ترد على هذه الاعتداءات.

3- التفاعل والنقاش على المنتديات: تعتمد هذه الآلية على التفاعل بين عناصر الجماعة الإرهابية مع الفرد العادي الذي يدخل على تلك المنتديات، وذلك للتأثير عليه، وتحويله للتطرف، وصولاً إلى تجنيده لتنفيذ أي عمليات إرهابية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن وجود الفرد لفترة طويلة في منتديات التطرف يجعل الفرد يتقبل تدريجياً الأفعال العنيفة، بل ويعتبرها أفعالاً عادية، وذلك نظراً لاحتكاكه بأفراد يحملون الأفكار المتطرفة نفسها.

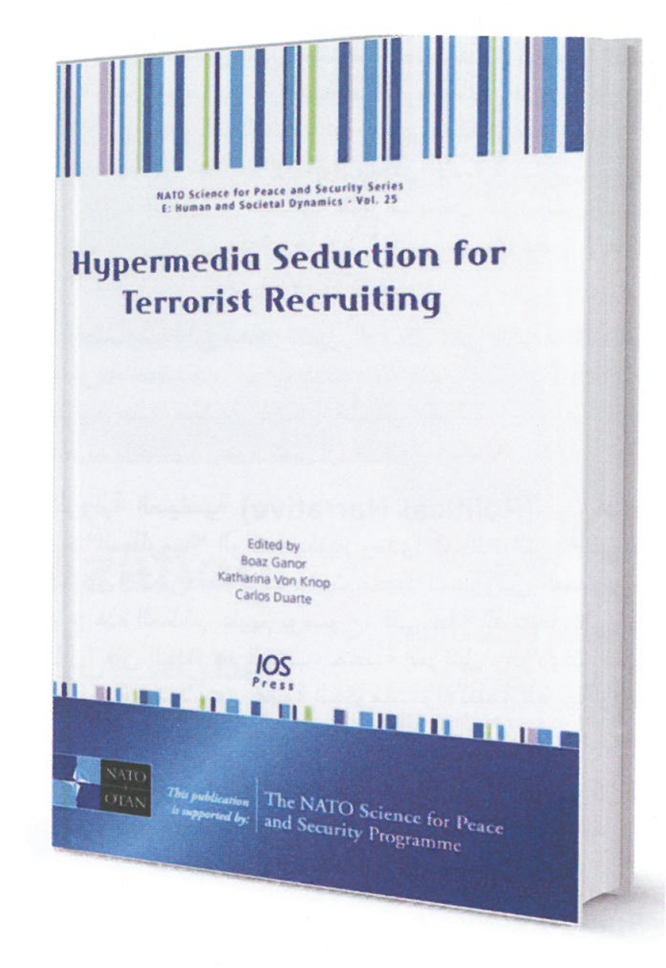
4- خطاب شمولي معقد: تتميز الرسائل التي تنشرها الجماعات المتطرفة بتعقيدها، سواء كانت تلك الجماعات إسلامية وغير إسلامية مثل جماعة الجيش الأحمر بألمانيا، وجماعة الألوية الحمراء بإيطاليا، وتقوم على أربعة أبعاد أساسية:

- **الرواية السياسية (Political Narrative)**، وتؤكد على فكرة "المظلومية" الواقعة عليهم ومدى المعاناة التي تعاني منها الجماعة المتطرفة، وعادة ما يتم تحديد المسؤولين المتسببين في وقوع هذه المظالم عليهم بوضوح، ففي حالة القاعدة، على سبيل المثال، فإن الجناة هم الغرب، خاصة إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، فضلاً عن غالبية الحكومات والأنظمة العربية وبعض الدول التي بها أقليات مسلمة بما في ذلك الهند والفلبين وروسيا.
- **الرواية التاريخية (Historical Narrative)**، وتركز على استدعاء الجماعات المتطرفة لبعض المواقف والأحداث التاريخية التي تضفي الشرعية على ادعاءات المظلومية.
- **الرواية النفسية–الاجتماعية (Socio-Psychological)**، وتركز على فكرة تمكين "المهمشين"، وتعمل على تمجيد السلوك العنيف، بما في ذلك الإرهاب، وربط ذلك بفكرة المظالم.
- **الرواية "الوظيفية" (Instrumental Narrative)**، وتؤكد فاعلية الأساليب العنيفة باعتبارها القادرة وحدها على تحقيق الأهداف الاجتماعية والسياسية المنشودة.
- **الرواية الدينية (Religious Narrative)**، وتضيف الشرعية على رد الفعل تجاه المظالم المزعومة، وذلك في حالة الجماعات المتطرفة الدينية[10].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الميكانيزمات التي تعتمد عليها الجماعات المتطرفة لا تستند إلى الأبعاد المادية، فلا يوجد بها وعود بحياة مرفهة أو تحسين المستوى الاقتصادي الاجتماعي لاتباعها، فهي لا تقدم للمظلومين إذا جاز التعبير خياراً لحياة أفضل، بل إنها تقدم لهم فرصة للانتقام من الذين تسببوا في مظلوميتهم، فضلاً عن كونها تقدم فرصة للتمكين والشعور بالذات الذي يفتقده العديد من الشباب في ظل اختزال احتياجات الشباب في بعض الأمور المادية، أو حتى تهميشهم تماماً.

ثالثاً: استراتيجيات مواجهة التطرف في الفضاء الإلكتروني

يمكن التعامل مع التطرف في الفضاء الإلكتروني من خلال ثلاث استراتيجيات أساسية، أولاها: استراتيجية المنع، بما يعنيه ذلك من حجب المواقع المتطرفة، أما الاستراتيجية الثانية، فتعتمد على دور أكثر فاعلية للحكومات في تقليل الطلب على مثل هذه الأفكار من خلال مواجهة الروايات المتطرفة، ورفع الوعي العام وتعليم



الشباب. أما الاستراتيجية الثالثة، وهي الأكثر فاعلية، فتتمثل في الاستفادة من هذه المواد المنشورة في فهم اتجاهات المتطرفين والآليات التي يعتمدون عليها في تجنيد أفراد جدد، وفي الحصول على الدعم المادي واللوجستي، والأهم التعرف على الشخصيات الأكثر تأثيراً، ومن ثم استهدافهم، وهو ما يفيد في تطوير آليات فعالة للمواجهة.

1- استعادة السيطرة على الحيز الإلكتروني (Recapturing Digital Territory):

إن أفضل طريقة لمواجهة الأفكار المتطرفة على الإنترنت هي حصار وتقليص حضور المواقع والصفحات المتطرفة، وذلك نظراً لأن الخطر الذي تمثله أفكار الجماعات المتطرفة يرتبط ارتباطاً مباشراً بمدى حضورها وانتشارها في الفضاء الإلكتروني[11]، ويتمثل أبرز الطرق والوسائل التي اتبعتها الدول فيما يلي:

أ- حجب المواقع المتطرفة: تنتهج العديد من الحكومات إجراءات لغلق مواقع الجماعات المتطرفة، وذلك لمنع انتشار التطرف في مجتمعاتها، غير أن هذه الآلية بالغة التكلفة على الحكومات، وتبقى فاعليتها محل شك.

ب- التعطيل القانوني: وهو من ضمن الآليات التي تتبعها بعض الدول الأوروبية، وتتمثل في حجب بعض الصفحات، فعلى سبيل المثال، قامت بريطانيا بإنشاء وحدة "مكافحة التطرف في الفضاء الإلكتروني"، والتي تعتمد بالأساس على بلاغات، سواء من عامة الناس، أو الشرطة أو أجهزة المخابرات. ويتم فحص المحتوى الموجود على الصفحات محل الشك، وإذا وجد أن محتواها يتعارض مع القانون البريطاني، والذي يجرم نشر المواد المحرضة على الأفعال الإرهابية أو التي تنشر الفكر الإرهابي وتحض على العنف، يتم فوراً أمر الشركة مقدمة الخدمة بإيقاف وحجب الصفحة. وقد تم إغلاق 165 صفحة في أول سنة من تطبيق هذا القانون.

ج- التعطيل التعسفي: وهو أشبه بعملية اختراق تقوم بها الحكومات بالتعاون مع بعض الشركات لتعطيل المواقع التابعة للجماعات الإرهابية، وهو ما قامت به الولايات المتحدة الأمريكية في عام 2008 بتعطيل ثلاثة منتديات تابعة لتنظيم القاعدة.

د- استهداف الكوادر: حيث تتم ملاحقة المنتجين للأفكار والمواد المتطرفة، مثلما قامت الولايات المتحدة بتصفية "سمير خان"، مؤسس مجلة (Inspire) الإرهابية، الناطقة بالإنجليزية، وذلك باستخدام الدرونز، حيث كانت المجلة الأكثر إلهاماً للذئاب المنفردة لتنفيذ عمليات إرهابية ضد الولايات المتحدة، فالتوقيع بمثل هذه الكوادر المؤثرة من شأنه الحد من إنتاج المواد المتطرفة.

هـ- التعاون مع الشركات التجارية: مثل جوجل وفيسبوك وتويتر، من أجل حجب المواد المتطرفة. غير أن هذه الآلية تعتريها صعوبات كبيرة، فعلى سبيل المثال، أشارت جوجل إلى عدم امتلاكها القدرات اللازمة لمتابعة الفيديوهات التي يتم تحميلها، والتي يتعدى حجمها 172 ساعة في الدقيقة.

و- الإخفاء من المحركات البحثية: وذلك من خلال الاتفاق مع الشركات التجارية على أن تخفي المواد المتطرفة من نتائج البحث عندما يقوم مستخدمو الإنترنت بالبحث عن بعض الكلمات الشبيهة، أو وضعها في ترتيب متأخر جداً بحيث يصعب الوصول إليها[12].

2- الاشتباك مع الفكر المتطرف:

لا تقف مواجهة التطرف عند مجرد محاولات الحد من العرض، بل إنها تشمل سبل الحد من الطلب على التطرف. ويمكن ذلك من خلال السبل التالية[13]:

أ- محاربة الفكر المتطرف: خلقت الإنترنت سوقاً رائجة للأفكار، فكل الأطراف لديهم الفرص ذاتها لطرح أفكارهم ونشرها، وفي بعض الأحيان، تنتشر الأفكار المتطرفة بصورة واسعة، وذلك لعدة أسباب أهمها: تفوق المتطرفين على غيرهم في درجة الحماس، وهو ما يسمح لهم بالهيمنة على أي حوار يتم من خلال المواقع الإلكترونية أو مواقع التواصل الاجتماعي، ويعطي الانطباع بأنهم يمثلون الأغلبية. ومن ناحية ثانية، فإن الفكر المتطرف لا يجد ما يتحداه، وذلك نظراً لأن المنتديات التابعة للجماعات الإرهابية ما هي إلا جيتو مغلق يقوم فيه ذوو الأفكار المتطرفة بتبادل الآراء ذاتها، مما يدعم الفكر المتطرف. وأخيراً، غياب القدرة على التحليل، فإذا كان الجيل الحالي يتسم بالقدرة على التعامل مع التكنولوجيا بالفطرة حيث نشأ عليها، إلا أنه يعاني من تراجع قدرته على التحليل والتقييم، وهو ما يرجع إلى قصور المدارس في إكساب النشء القدرات التحليلية.

ويجب على الحكومات مواجهة أسباب انتشار الفكر المتطرف،

من خلال تعزيز العقل النقدي والقدرات التحليلية، فضلاً عن دحض الأفكار المتطرفة بالحجة والمنطق، ونشر الأفكار المعتدلة، من خلال دعم الأصوات البديلة، وخلق جاذبية نحوها لمنافسة خطاب التيارات المتطرفة.

ب- الرسالة المضادة: حيث يتم إعداد رسائل خاصة من شأنها الرد على ادعاءات وحجج الفكر المتطرف، ويتم نشرها بالوسائل ذاتها التي تتبعها الجماعات المتطرفة، مثل المنتديات ومواقع التواصل الاجتماعي، ويتم عرضها بأسلوب جاذب. وتشير بعض الدراسات إلى أن الحكومات عادة لا تستطيع القيام بهذا الدور لأن شهادتها مجروحة، إذا جاز التعبير، ولذا فمن الأفضل أن تترك الحكومات هذا الدور للشركات الإعلامية المتخصصة ورجال الدين المشهود لهم بالاحترام.

ج- فرق للانخراط والجدال: والمقصود هنا الذهاب إلى ملتقيات المتطرفين، مثل المنتديات والدخول معهم في نقاش وجدل كباقي المشاركين، والبدء في تحدي ادعاءاتهم ودحضها. ولعل أبرز تجربة في هذا الإطار هي التجربة السعودية، حيث قامت فرق من الشباب المتطوعين في إطار مبادرة "السكينة" التي انطلقت في عام 2004 بالدخول إلى غرف الدردشة التابعة للمواقع الجهادية والجدال مع المتطرفين ودحض أفكارهم، ويبدو أنها كانت تجربة مؤثرة، فقد أصدرت القاعدة إعلاناً بتحذير أتباعها من خوض المناقشات مع أفراد السكينة[14].

وفي إطار عملية المجادلة تلك، تشير التجارب السابقة لأهمية دور "القيادات الجهادية التائبة"، خاصة الذين مازالوا يتمتعون ببعض الشعبية، والاستعانة بهم لمواجهة المتطرفين، إذ إنهم سيكونون أكثر إقناعاً[15] نظراً لمعرفتهم باللغة والأساليب المؤثرة التي تصل إلى الفئات المستهدفة من قبل التنظيمات الجهادية[16].

3- التحليل الاستخباراتي للخصم:

لا يمكن مواجهة أي تنظيم أو صياغة سياسات فعّالة لهزيمته من دون الفهم الجيد لأفكاره وتكتيكاته في التجنيد والحجج التي يعتمد عليها في الترويج والدعاية من خلال الفضاء الإلكتروني، وكذلك الأدوات والأشخاص المؤثرين الذين يعتمد عليهم التنظيم، وهي العناصر التي إذا تم استهدافها سوف تؤثر على قدرة التنظيم على الانتشار من خلال الفضاء الإلكتروني[17]، وتزداد أهمية هذا الأسلوب في ضوء تصاعد اعتماد الجماعات المتطرفة على الإنترنت، وتطوير تكتيكات مختلفة للتأثير.

أخيراً، يمكن القول إن هناك ثلاثة أبعاد رئيسية لمواجهة التطرف الإلكتروني تتمثل في: مواجهة الفكر المتطرف، من خلال استهداف المواقع والمنتديات الحاملة لتلك الأفكار، فضلاً عن مواجهة الأفكار المتطرفة من خلال دحضها، ونشر الفكر المعتدل، ودراسة المواقع المتطرفة لبلورة فهم أفضل لتلك الجماعات، ووسائل تجنيدها، وتحديد العناصر المؤثرة، واستهدافهم.

1- Countering online radicalization in America, **National security program, Homeland security project, Bipartisan policy center**, December 2012, (p.15), accessible at: http://goo.gl/mV9JyX

2- Omar Ashour, On Line De- Radicalization? Countering Violent Extremist Narrative: Message, Massager and Media Strategy, **Perspective on Terrorism**, vol. 4, issue 6, December 2010, p. 15.

3- Katharina von konp, countering web-based Islamism narratives: conceptualizing an information war and a counter-propaganda campaign, in: Boaz Ganor (et al.) (eds.), **Hypermedia Seduction for Terrorist recruiting**, (Amsterdam: IOS press, 2007), p. 247.

4- Countering online radicalization in America, **National security program, Homeland security project, Bipartisan policy center**, December 2012, (p.15), accessible at: http://goo.gl/mV9JyX

5- Katharina von konp, **op.cit.**, p, 248.

6- Countering online radicalization in America, **National security program, Homeland security project, Bipartisan policy center**, December 2012, (p.17), accessible at: http://goo.gl/mV9JyX

7- Katharina von konp, **op.cit.**, p, 248.

8- Countering online radicalization in America, **National security program, Homeland security project, Bipartisan policy center**, December 2012, (p.18), accessible at: http://goo.gl/mV9JyX

9- Countering online radicalization in America, **National security program, Homeland security project, Bipartisan policy center**, December 2012, (p.18), accessible at: http://goo.gl/mV9JyX

10- Omar Ashour, **op.cit.**, p.16.

11- Jared Cohen, How to Marginalize the Islamic State Online, Digital Counterinsurgency , The Post-American Middle East, **Foreign Affairs**, Vol. 94, No. 6, November / December 2015, p. 54.

12- Countering online radicalization in America, **National security program, Homeland security project, Bipartisan policy center**, December 2012, (pp. 23 – 28), accessible at: http://goo.gl/mV9JyX

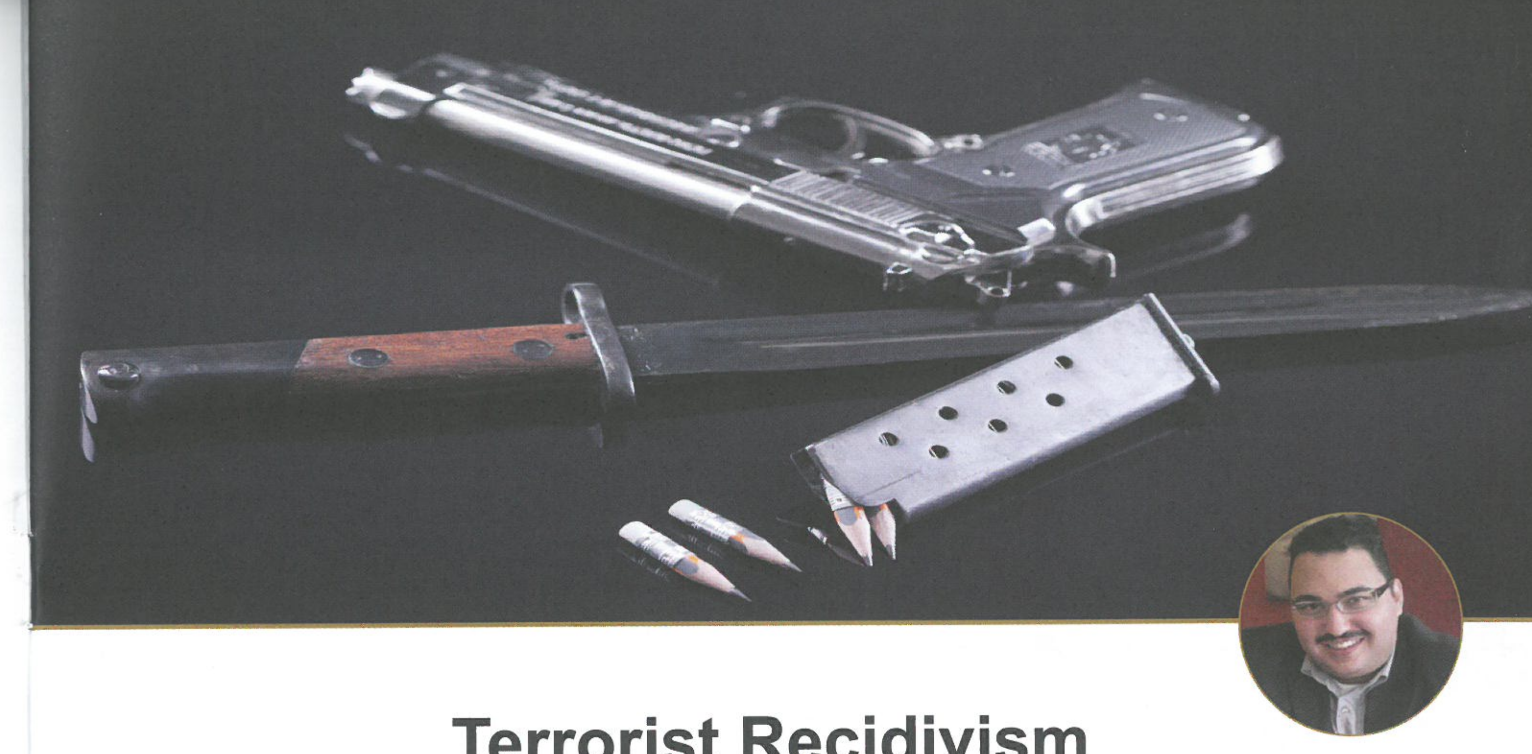
13- Peter R. Neumann, option and strategies for countering online radicalization in the united states, **Studies in Conflict & Terrorism**, vol. 36, issue 6, 2013, pp. 444 – 448.

14- Kimberlyn Leary, Engaging Extremists: Diplomacy through De radicalization, American's foreign policy past & future, **Harvard Kennedy school review**, Vol. 9, 2009, p. 115.

15- Omar Ashour, **op.cit.**, p. 16.

16- **Ibid.**, p. 15.

17- Jared Cohen, **op.cit.**, p. 52.



Terrorist Recidivism

تقييم المداخل الفكرية والاجتماعية لمواجهة التطرف

محمد عبدالله يونس

مدرس العلوم السياسية المساعد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة

تصاعد اتجاه دول العالم لصياغة سياسات للتحصين الفكري ومواجهة التطرف، سواء من خلال جعل السياقات المجتمعية غير مواتية لانتشار الفكر المتطرف أو علاج المتطرفين وتصحيح رؤيتهم الفكرية والأيديولوجية وغرس قيم التعايش والاعتدال لديهم بالتوازي مع عمليات إعادة تأهيل ودمج المتطرفين اجتماعياً وتفكيك معتقداتهم الراديكالية، إلا أن فعالية هذه البرامج والسياسات تظل موضع جدل واسع النطاق مما يثير تساؤلات حول أسباب افتقاد بعض هذه البرامج للفاعلية.

أولاً: معايير تقييم سياسات مواجهة التطرف

تتوقف فاعلية البرامج والسياسات التي تتبني المداخل الناعمة الفكرية والمجتمعية في مواجهة التطرف على مدى تحقيق عدة معايير، يتمثل أهمها فيما يلي:

1- الثبات الفكري: إذ يفترض أن تحقق هذه البرامج ثباتاً في تغيير أفكار ومعتقدات وسلوك وممارسات المتطرفين الذين خضعوا لها، وحققوا تقدماً ملحوظاً في التحول عن التطرف، وتم إدماجهم في المجتمع بنجاح، وهو ما يرتبط بقطع صلاتهم بالقيادات والخلايا المتطرفة وعدم مشاركتهم في عمليات إرهابية(1).

2- استباق التهديدات: ترتبط فاعلية برامج مكافحة التطرف وعلاج المتطرفين باستباق التهديدات من خلال التصدي للأفكار الراديكالية لدى فئات الشباب المُحتمل انضمامهم للتنظيمات الإرهابية، بهدف إعاقة تحول التوجهات العقيدية المتطرفة إلى أعمال عنف وعمليات إرهابية، واستباق انضمام الشباب المستهدف للتنظيمات التكفيرية، حيث إن عمليات علاج التطرف السابقة على الانضمام للتنظيمات الإرهابية عادة ما تكون أكثر فاعلية في منع ترسخ العقائد المتطرفة لدى الشباب.

3- دقة الاستهداف: من الضروري أن تحقق برامج مواجهة التطرف الفكري الرشادة الاقتصادية من خلال تجنب إهدار الموارد في برامج التوعية العامة والإعلامية واسعة النطاق التي تستهدف جمهوراً غير محدد بدقة، حيث من المفترض أن تعكف المؤسسات الأمنية علي دراسة الفئات المُحتمل تجنيدها من جانب التنظيمات الإرهابية ومناطق تمركزها والسياقات الاجتماعية والبيئية المحيطة، ومن ثم تقتصر حملات التوعية على النطاق الجغرافي المستهدف أو الأفراد الذين تعتبرهم السلطات الأمنية مرشحين مُحتملين للانضمام للتنظيمات الإرهابية(2).

4- تصنيف العائدين: تقوم سياسة بعض الدول الغربية التي تقبل عودة المقاتلين المتطرفين من سوريا لأراضيها على التعامل الانتقائي مع حالات العودة وفق مدى تغلغل المعتقدات المتطرفة لدى كل منهم، وقابلية أيهم للمناصحة، وقبول الاندماج في المجتمع والتهديدات المُحتملة من لجوء أي منهم لتشكيل خلايا إرهابية نائمة أو تنفيذ عمليات إرهابية داخل الدولة، ويسبق ذلك إعداد قاعدة بيانات عن الشباب المنضمين للتنظيمات الإرهابية في دول الإقليم ومدى انخراطهم في العمليات القتالية التي تقوم بها تلك التنظيمات وارتكابهم جرائم حرب وانتهاكات بحق المدنيين في بؤر الصراعات الأهلية بالإقليم(3).

5- الاحتواء الافتراضي: من المفترض أن تقوم المؤسسات الأمنية في الدولة بإغلاق المنصات الإعلامية الافتراضية للتنظيمات الإرهابية وتضييق قنوات نقل الأفكار للشباب من خلال إغلاق مواقع التنظيمات المتعاطفة والمؤيدة للإرهاب، فضلاً عن رقابة شبكات التواصل الاجتماعي لتتبع الاتصالات بين المتطوعين المحتملين والتنظيمات الإرهابية بهدف التواصل مع ذويهم ومنعهم من الانضمام لتلك التنظيمات، يتوازي ذلك مع إغلاق المؤسسات

الدينية واستهداف الأئمة المتطرفين الذين يروجون المعتقدات التكفيرية.

6- وصم الممارسات: حيث تركز استراتيجية الدعاية المضادة على استعراض الممارسات الإجرامية غير الإنسانية للتنظيمات الإرهابية، خاصة في تعاملهم مع المدنيين ومدى تعارضها مع الفطرة الإنسانية بالتوازي مع توظيف دوائر الانتماء الاجتماعي، مثل الأسرة والمؤسسات التعليمية وجماعات الرفاق في التأثير على توجهات الفرد(4).

ثانياً: إشكاليات فاعلية مواجهة التطرف

تؤكد مراجعة نتائج برامج مواجهة التطرف بمختلف مساراتها وجود إنجازات جوهرية حققتها بعض الدول في علاج ومكافحة التطرف، على غرار كتب المراجعات الفكرية لقيادات وكوادر الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد في مصر، التي كشفت عن المغالطات العقيدية والدينية للتنظيمات الإرهابية، خاصة ما يتعلق بتكفير المجتمع وانتهاج العنف المسلح ضد الدولة.

وينطبق الأمر ذاته على مبادرات التوبة في الجزائر والتي نجحت في تحييد تهديدات التنظيمات الإرهابية وإنهاء حالة الاقتتال الداخلي استناداً لقانون المصالحة الوطنية في الجزائر الصادر في عام 2005.

وتشير آخر الإحصاءات الصادرة عن وزارة الداخلية السعودية في أبريل 2013 إلى أن مركز محمد بن نايف قد نفذ حوالي 8916 جلسة مناصحة داخل السجون وما يقارب 95 دورة علمية استفاد منها ما لا يقل عن 2791 فرداً منذ إنشائه ينتمون لحوالي 41 جنسية، وأدى للإفراج عن 1499 من المدانين بالتورط في الانتماء لتنظيمات إرهابية بعد تخليهم التام عن الفكر التكفيري.

أما المغرب، فقد ركزت على التعامل مع القيادات الإرهابية بالسجون القادرة على استقطاب كوادر جديدة وعزلها عن بقية النزلاء وتطبيق برامج التوعية الفكرية وإعادة تأهيل الكوادر والمتعاطفين الأصغر سناً والأكثر قابلية لتصحيح عقائدهم والعودة للاندماج في المجتمع(5).

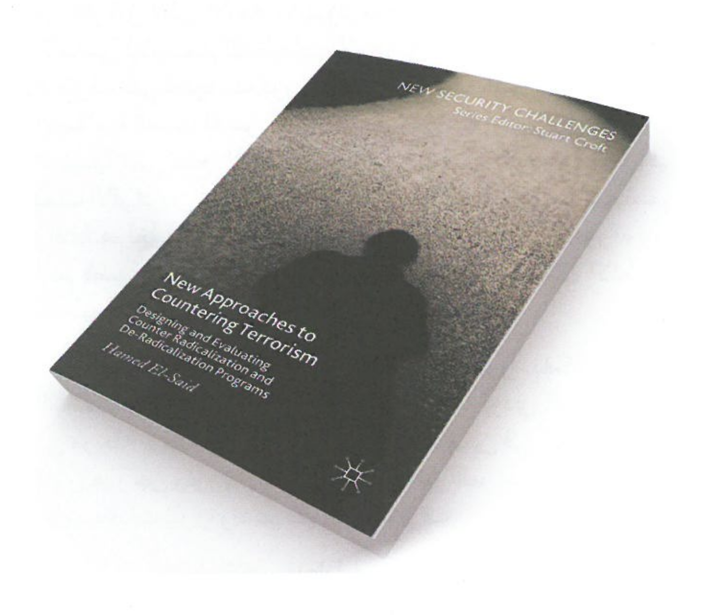
في المقابل تواجه بعض برامج مكافحة التطرف وعلاج المتطرفين أوجه للضعف الهيكلي وفقدان الفاعلية في بعض الحالات، وتتمثل أهم أوجه ضعف البرامج الفكرية لمواجهة التطرف فيما يلي:

1- إنكار المراجعات: حيث إن بعض قيادات وكوادر التنظيمات الإرهابية قد أنكرت المراجعات الفكرية التي أطلقتها التنظيمات الجهادية في مصر في تسعينيات القرن الماضي.

ومن بين أبرز القيادات التي لم تقبل المراجعات الفكرية عقب الإفراج عنها من السجون عاصم عبدالماجد القيادي بالجماعة الإسلامية الذي تنصل من المراجعات الفكرية ووصفها بأنها تمت تحت ضغوط السلطات الأمنية.

الأمر ذاته ينطبق على طارق الزمر وغيره من القيادات التي لم تقم بإدانة نهج تنظيم القاعدة في مراجعاتها، وأنكرت المراجعات الفكرية وعادت للدعوة للعنف عقب خروجها من السجن، وينطبق الأمر ذاته على بعض المستفيدين من برامج التوبة التي أطلقتها السلطات الأمنية الجزائرية للاستفادة من العفو القضائي في مقابل نبذ العنف، حيث عادت بعض القيادات للفكر المتطرف وأسهم بعضهم في استقطاب بعض الشباب للسفر إلى سوريا للانضمام لتنظيم "داعش"(6).

2- الارتداد للتطرف: اتجهت بعض الكوادر المتطرفة للعودة للتطرف عقب خضوعها لبرامج للتصحيح الفكري والدمج الاجتماعي، ففي سبتمبر 2014 ألقت قوات الداخلية السعودية القبض على 88 من المتطرفين شكلوا 10 خلايا إرهابية بعضهم خضعوا لبرنامج المناصحة الفكرية، وكشفت إحصائيات المملكة أن حوالي 12% تقريباً من الملتحقين ببرامج المناصحة وإعادة التأهيل الفكري انضموا لجماعات إرهابية عقب الإفراج عنهم، فمن بين حوالي 2791 شخصاً خضعوا لبرنامج المناصحة حتى نهاية عام 2014 عاد للتطرف حوالي 334 شخصاً وانضموا للتنظيمات الإرهابية، الأمر ذاته ينطبق على بعض برامج إعادة التأهيل الاجتماعي الأوروبية التي قام المنضمون لها بالسفر لسوريا بعد فترة من التحاقهم بها(7).



3- محدودية النتائج: حيث تكشف مراجعة بعض برامج الدمج الاجتماعي في الدول الأوروبية عن عدم قدرتها على تحقيق نتائج واسعة النطاق في مواجهة انتشار التطرف، فعلى سبيل المثال، فإن "برنامج آرهوس" في الدنمارك القائم على التأهيل النفسي والصحي للمتطرفين وإعادتهم للمسارات التعليمية والمهنية ومنحهم مزايا اجتماعية تساعدهم على نبذ التطرف لم يحقق نتائج واسعة النطاق على مستوى الفاعلية، فمن بين 130 شخصاً تم إخضاعهم للبرنامج في عام 2014، لم يتم تأهيل سوى 15 لعملية المتابعة المجتمعية التي لم يجتزها سوى 8 من المشاركين أحدهم بمستوى محدود من النجاح، وهو ما يعني أن نتائج هذا البرنامج قد لا تتناسب مع التكاليف التي يتم إنفاقها عليه(8).

4- التشدد الفكري: تواجه بعض برامج مكافحة التطرف القائمة على استتابة المتطرفين والتوعية المجتمعية ضد التطرف اتهامات بالاستعانة بقيادات دينية ذات أفكار غير وسطية قد تؤدي لإعادة إنتاج الفكر المتطرف، حيث تم توجيه بعض الانتقادات لبعض



مراكز الوسطية في الدول العربية بوجود قيادات دينية غير وسطية وتتبني الفكر المتطرف في صدارة هذه المؤسسات وبعضهم ينتمون تنظيمياً لبعض الجماعات المتطرفة مثل جماعة الإخوان المسلمين، وهو ما يؤدي لإضعاف فاعلية هذه المؤسسات في نشر الفكر الوسطي وتوعية الشباب من مخاطر التطرف والتكفير[9].

5- عمومية الاستهداف: فعلى الرغم من أهمية تأسيس مواقع وصفحات عبر مواقع التواصل الاجتماعي لنشر الفكر الوسطي والتصدي للتطرف، فإن الافتقاد لآليات للاستهداف للقطاعات الأكثر تأثراً بالفكر المتطرف هو ما يؤدي لإهدار الموارد المخصصة لهذه البرامج، خاصةً في ظل تركيزها على الجوانب الفقهية والعقيدية التي لا يركز عليها الجمهور العام ويفترض أن يتم توجيهها لكوادر التنظيمات الإرهابية والمتعاطفين معهم.

ثالثاً: مسببات الارتداد الفكري

تتمثل الإشكاليات الرئيسية التي تحد من فاعلية بعض برامج مواجهة التطرف الفكري والتي تسبب هامش من الارتداد التكفيري في التركيز على الأبعاد الأيديولوجية والعقيدية باعتبارها المسبب الأساسي للانضمام للتنظيمات الإرهابية، حيث أثبتت برامج علاج التطرف التي تبنتها سنغافورة وإندونيسيا واستهدفت أعضاء الجماعة الإسلامية المسؤولة عن تفجيرات بالي في عام 2002 أن الأسباب الرئيسية التي تدفع الأفراد للانضمام للتنظيمات الإرهابية تتمثل في بحث الأفراد عن هوية وانتماء نتيجة شعورهم بالاغتراب المجتمعي وافتقادهم لغاية وجودية حقيقية، وهو ما يدفعهم للانجراف وراء وهم دعم قضية عادلة أو الانتقام لمظالم متصورة من خلال الانضمام للتنظيمات الإرهابية[10].

وتتمثل الإشكالية الثانية في وجود تصور بإمكانية تغيير المعتقدات عبر الحوار الفكري فقط وهو ما يؤدي لتغير السلوك في مرحلة لاحقة، حيث أكد بعض المتخصصين في علم النفس مثل جون هورجن وتوريه بجورجو أنه من غير المرجح أن يتخلي الفرد عن معتقدات تبرر وتدعم سلوكه المتطرف.

ويتمثل الاتجاه الأكثر فاعلية في تغيير السلوك أولاً قبل التركيز على تغيير المعتقدات، حيث إن التركيز على إصلاح العلاقات الاجتماعية والأسرية للمتطرفين قد يكون المدخل الأكثر ملاءمة في معالجة التطرف من منظور علم النفس[11].

أما الإشكالية الثالثة فتتمثل في تركيز بعض برامج علاج التطرف على التعامل مع الجهاديين من الشباب كمذنبين يستحقون العقاب وهو ما يؤدي لترسيخ الاغتراب ويغذي الرغبة في الانتقام من المجتمع لديهم، في المقابل تتعامل بعض برامج معالجة التطرف في الدول الأوروبية مع الجهاديين الشباب كمراهقين متمردين قابلين للإصلاح بدلاً من اعتبارهم مذنبين قضائياً، ومن ثم يتم التركيز على منحهم فرصاً للتعليم والعمل وإصلاح علاقاتهم الأسرية والاجتماعية والارتقاء بمهاراتهم الحياتية من خلال برامج للعلاج النفسي وهو ما يؤدي لتخلص الأفراد من قيم التطرف بصورة نهائية[12].

وترتبط الإشكالية الرابعة في التركيز على التطرف بصورة منعزلة عن السياقات الاجتماعية والاقتصادية التي قد تؤدي لتصاعد الاتجاهات العنيفة بين الشباب على غرار غياب فرص التمكين وتحمل المسؤولية والافتقاد للقدرة على الانجاز وندرة فرص العمل وانتشار البطالة وعدم كفاءة نظم التعليم والتدريب وضيق مساحات ممارسة الأنشطة، فضلاً عن وجود اتجاهات مجتمعية تحض على كراهية المهاجرين والأجانب في بعض الدول الأوروبية مما يؤدي لتعزيز الشعور بالاغتراب والانعزال عن المجتمع، حيث يؤدي الشعور بالانهزامية لدى بعض قطاعات الشباب للسعي للانضمام للجماعات الإرهابية بحثاً عن دوائر جديدة للانتماء والإنجاز[13].

ولا ينفصل ذلك عن الافتقاد للقدوة الحسنة في ظل تآكل الثقة في القيادات المجتمعية وتركيز الإعلام على النماذج الهدامة التي تروج لأفكار وممارسات لا أخلاقية تتسم بالتطرف في معاداتها للقيم والثوابت المجتمعية والدينية وهو ما يدفع الشباب في الاتجاه المضاد الأكثر تطرفاً كرد فعل عكسي يهدف للاحتجاج على هذه النماذج.

إجمالاً، على الرغم من تعدد أنماط ونماذج المناصحة الفكرية على المستويين الإقليمي والعالمي وتحقيقها لإنجازات حقيقية، فإن بعضها يفتقد الفاعلية في ظل استمرار تدفق المقاتلين الأجانب لبؤر الصراعات الإقليمية، وتمكن التنظيمات الإرهابية في بعض الأحيان من تجاوز تدابير الوقاية الفكرية، وهو ما يتطلب مراعاة خصوصية السياق وصياغة برامج للأمن الفكري تتناسب مع الأوضاع المجتمعية والاقتصادية السائدة في الدولة والاعتماد على الجمع بين التدابير الأمنية وآليات الأمن الفكري لمواجهة التهديدات الإرهابية.

1- Humera Khan, "Why Countering Extremism Fails?", **Foreign Affairs**, February 18, 2015, accessible at: https://goo.gl/EBXCH2

2- Hamed El-said, **New Approaches to Countering Terrorism: Designing and Evaluating Counter Radicalization and De-Radicalization Programs,** (Palgrave Macmillan, January 2015), pp. 254 – 258.

3- Daniel Byman, "The Homecomings: What Happens When Arab Foreign Fighters in Iraq and Syria Return?", **Studies in Conflict & Terrorism**, Vol. 38, no.8 , 2015, pp. 581 – 583.

4- Candance Karp, "You Can't Fight What You Don't Understand", **Foreign Policy**, June1 , 2015, accessible at: http://goo.gl/L4ykXi

5- "سياسات الاحتواء: الدلالات الإقليمية لتطبيقات "المناصحة الفكرية" بالدول الغربية"، **المركز الإقليمي للدراسات الإستراتيجية بالقاهرة**، 24 نوفمبر 2014، موجود على الرابط التالي: http://www.rcssmideast.org/Article/2852/ #.Vi6FOPmrSUk

6- هاني نسيرة، "رؤية تحليلية لمراجعات الجماعات الجهادية"، **موقع حملة السكينة السعودية**، 8 فبراير 2012، موجود على الرابط التالي: http://goo.gl/seiSQL

7- Georgia Holmer, "What to Do When Foreign Fighters Come Home?", **Foreign Policy**, June 2015, accessible at: http://goo.gl/RhYjRn

8- Elisabeth Draw, Inside Denmark's Radical Jihadist Rehabilitation Program, **The Newsweek Magazine**, October 2014, accessible at: http://www.newsweek.com/2014/10/24/denmark-offers-returning-jihadis-chance-repent-277622.html

9- Viola Gienger, "Use of Terrorist 'Dropouts' to Boost Defections: Dangerous Business", **United States Institute For Peace**, May 1, 2013, accessible at: http://www.usip.org/publications/use-of-terrorist-dropouts-boost-defections-dangerous-business

10- Georgia Holmer, **"Creating Spaces for Effective CVE Approaches"**, (Washington: United States Institute For Peace, September, 2014), pp. 1 – 3.

11- Georgia Holmer, "What to Do When Foreign Fighters Come Home?", **Foreign Policy**, June1 , 2015, accessible at: http://foreignpolicy.com/2015/06/01/what-to-do-when-foreign-fighters-come-home-isis-islamic-state-syria-iraq/

12- Hamed El-said, **Op.Cit.**, p. 257.

13- Margaret Coker, Matthew Dalton, Can 'Deradicalization' Stem Flow of European Jihadists?, **Wall Street Journal**, September 28, 2014, accessible at: http://www.wsj.com/articles/can-deradicalization-stem-flow-of-european-jihadists-1411958283

